جامعة الأزهر

حولية كلية اللغة العربية

بنين بجرجا

نظرات الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في تحليل الشعر ونقده شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك أنموذجا

Sheikh Mohammad Mohi Addin Abdulhamid's Perspectives in and Criticizing Poetry: Ibn Aqils Commentary on Alfiyah Ibn Malik as a Model

دكتور

أبو الفتوح مصطفى جمعة رشوان

مدرس الأدب والنقد فى كلية البنات الإسلامية بأسيوط

Dr. Abu Al Fotoh Mustafa Juma Rashwan

العدد الخامس عشر

للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الجزء السادس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

/ ٦٩٤٠2011

Abstract

Sheikh Mohammad Mohi Addin Abdulhamid's Perspectives in Analyzing and Criticizing Poetry: Ibn Aqils Commentary on Alfiyah Ibn Malik as a Model

By: Dr. Abu Al Fotoh Mustafa Juma Rashwan

Sheikh Mohammad Mohi Addin Abdulhamid's vision in editing "Sharah Ibn Aqeel" was characterized as comprehensive. He not only did editing tasks, but he also applied other literary critic tasks. His work, as a result, was interesting and convincing. This pairing between the two tasks opened the texts wide for him. His analysis and criticism of the poetic lines were varied. He cared for relating the text to its author. He also introduced the poet, stated the poem's occasion, clarified the poetic purpose, determined the context, and criticized the language. He further explained the meaning and criticized it, and he also criticized the rhythm and the literary image. His criticism, in all, was at some times objective and at others it was subjective. He also justified and balanced most of his criticism.

نظرات الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في تحليل الشعر ونقده
شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك أنموذجا

د/ أبو الفتوح مصطفى

مقدمة

الحمد لله الذي حفظ اللغةَ بالقرآن ، وأضاء طريق العلم بالعلماء ، فجعلهم ورثة الأنبياء ، والصلاة والسلام على مَنْ اصطفاه الله من كنانة إسماعيل ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ..

فلقد أردت كتابة بحث عن أحد شيوخ العلماء في عصره العلَّامَة محمد محيي الدين عبدالحميد ؛ لما لهذا الشيخ من جهود كبيرة في خدمة علوم العربية وطلابها، ونظرا لتعدد قدرات الشيخ ومواهبه في اللغة العربية ، واستخدامه لها جملة واحدة في تحقيق أمهات الكتب ، وتطبيقاته المتميزة للقواعد النحوية ، ورؤيته الموسوعية الشاملة لعلوم اللغة؛ أحببت أن أتناول جانبا مهما من جوانب هذه الرؤية وأخصها بالدراسة،وهي رؤية الشيخ النقدية الممتزجة في هذا الخضم الزاخر من ثقافة الشيخ، والتي كان لها أكبر الأثر في إثراء عمله النحوي واللغوي .

وتحاول هذه الدراسة إبراز أمرين مهمين :

الأول – الاتجاهات النقدية التي ظهرت في تحليلات الشيخ .

الثاني – أبرز السمات النقدية التي اتسم بها نقده .

إن الكتابة في هذا الموضوع تتطلب جهدا مضنيا وشاقًّا ، إذْ شملت الدراسة جميع الكتب المحققة والمشروحة للشيخ؛ لذا فقد اعتمدت في دراستي على (تحقيق شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)، واخترت هذا الكتاب لعدة أسباب:

الأول – إنَّ الشيخ – رحمه الله – لم يكتف في الكتاب بوظيفة المحقق، وإنما أضاف إليها وظيفة الناقد الأدبي ، فعندما نقرأ الكتاب نقرأه محقَّقًا بفكر ناقد ، أو نقرأه نقدا بفكر محقق ، فاختلط التحقيق والنقد ، وإن كان التحقيق هو الغالب ،

إلا أنَّ الجانب النقدي أثمر المجهود ، وأكمل العمل ، وخلَّص الكتاب من الجفاف اللغوي ، وحلق به في جانب من سماء الإبداع والنقد.

الثاني – إنَّ ما كتبه الشيخ– رحمه الله – كان عبارة عن (تعليقات) ، ولا غرو في ذلك ، فالشيخ ينتمي إلى الجيل الموسوعي الذي لا يعرف للغة تخصصا أو للأدب حدودا ، وقد نص الشيخ على ذلك في مقدمة الكتاب ، قائلا: "كان مما جرى به القضاء أني كتبت منذ أربع سنين تعليقات على كتاب الخلاصة (الألفية) ... ولم يكن يدور بخَلَدي – علم الله– أنَّ تعليقاتي هذه ستحوز قبول القراء ورضاهم، وأنها ستحل من أنفسهم المحل الذي حلَّتْه..." [١] .

الثالث – نال الكتاب شهرة واسعة ، وعُرِفَ حتى عند غير المتخصصين ولهذا " فقد اختارت مؤسسة (بريل) في هولندا نشر شرحه على ابن عقيل بالحروف البارزة ؛ ليقرأه المكفوفون" [٢] .

إنَّ تناول الموضوع بمنأى عن شخصية صاحبه قد تتسبب في إحداث فجوة وجفوة في البحث ؛ من أجل ذلك كتبت ترجمة موجزة ، واعتمدت فيها على سيرة الشيخ من كتاب (شرح قطر الندى وبل الصدى)، ثم تحدثت عن وظيفة المحقق والناقد ، ما يختلفان ويتشابهان فيه ؛ حتى تتضح صورة البحث في نظر القارئ .

التعريف بالشيخ :

أولا ـ مولده ونشأته :

ولد الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد في"٢٨ من جمادى الأولى سنة ١٣١٨– ٢٣ من سبتمبر ١٩٠٠"[٣]. بدأ الشيخ طفولته بحفظ القرآن الكريم ،

---

١ ــ ابن عقيل :شرح ابن عقيل – تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد – دار الفكر – القاهرة – الطبعة السادسة عشرة – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م– ج١،ص٣

٢– ابن هشام :شرح قطر الندى وبل الصدى – تحقيق :محمد محيي الدين عبدالحميد – دار الطلائع – القاهرة – ٢٠٠٩م ، ص ٢٦

٣– السابق :ص ١٣

وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد معلم خاص ، وكان مما أثر في تكوينه تأثيرا قويا مجالسته للكبار من رجال العلم والقضاء ؛فقد كان لوالده " صلات قوية بزملائه ، والصفوة من علماء بيئته ، فكانوا يجتمعون لديه في منزله ، وقد ترعرع الطفل الناشئ ليسمع آيات القرآن ، وأحاديث الرسول ﷺ ، ومسائل العلم"[٤]، وقد انعكس ذلك في حداثة سنه على حياته ؛فنشأ مستقيما ، جادا،وقورا، وبهذه الطريقة التربوية الرائعة تخطى الشيخ الزمن ، وعبر مستقيماً أخطر المراحل في حياة الشباب في دروب العلم .

ثانيا ـ العوامل المؤثرة في تكوين الشيخ :

١ـ والده :

النبات يحتاج إلى تربة طيبة وعناية ، فإذا توفرا خرج وأثمر، وآتى أكله بإذن ربه، والشيخ في طفولته توفرت له هذه التربة، فقد تربى في بيت فقه وقضاء ، وتوفرت له العناية ، إذ خط له والده الطريق ، فعندما "بلغ دور الصِّبا دفع به والده إلى معهد دمياط الديني ؛ ليرتشف من معينه ، إذ كان والده قاضيا بمحكمة فارسكور، ثم انتقل إلى القاهرة مفتيا دينيا لوزارة الأوقاف ، فانتقل معه إلى الجامع الأزهر " [٥] .

٢ـ ذكاؤه:

ذكاء الشيخ يعرف من قدراته المتنوعة في شبابه ، وسأكتفي بذكر أمرين للتدليل على ألمعية الشيخ :

الأول- أنه بدأ التأليف قبل الحصول على درجة العالمية سنة ١٩٢٥م" إذ أقدم على عمل جاد مثمر هو شرح مقامات الهمذاني ، ومؤلف الشرح ومحقق النَّص في هذا المقتبل من الشباب لابد أن يكون بعيد الطموح ، واسع الأمل ، ولابد أن

٤- ابن هشام : شرح قطر الندى وبل الصدى: ص١٣

٥- السابق : ص١٣

يكون قد وعي من مسائل اللغة والأدب والتاريخ العربي ما سمح له بالإتقان" [٦] .
الثاني- إنَّ أساتذته وكبار علماء الأزهر شهدوا له بالنبوغ " فاختير سنة ١٩٣٥م للتدريس بتخصص المادة لطلبة الدراسات العليا ، وزامل الكبار من أساتذته مزاملة خصبة مثمرة فاعترفوا بفضله ،وسمعه الإمام المراغيُّ في زيارته المتعاقبة للكلية فاسترعى انتباهه ، واختاره محاضراً في الاجتماعات العامة بالجامع الأزهر عند المناسبات الدينية " [٧] .

٣- أزهريته :

وَرِثَ الشيخ فضل انتسابه للأزهر عن والده ، وأزهريته جعلته يتبوأ مكانة رفيعة بين العلماء، ومما يدل على ذلك المناصب العلمية والإدارية التي تقلدها ، فقد عمل " أستاذا بالأزهر، فأستاذا بكلية اللغة العربية ، فمفتشا عامًّا بالمعاهد الدينية ، فوكيلا لكلية اللغة العربية ، فأستاذا بكلية أصول الدين ، فرئيسا لمفتشي العلوم الدينية والعربية بالأزهر، فعميدا لكلية اللغة العربية ، وعضوا بالمجمع اللغوي ، ورئيسا للجنة الفتوى بالأزهر، وعضوا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية " [٨] وغير ذالك من المناصب الأخرى .

٤- تواضعه :

أخذ الشيخ على نفسه عهدا بأن يبتعد "عن الغرور بالنفس والتفاخر بالتأليف"[٩].

ثالثا- منهجه العلمي :

يرى الشيخ محمد محيي الدين" ضرورة تربية الحس اللغوي لينتهي بصاحبه إلى الذوق الأدبي ، ويبدأ بالكلمة لينتهي إلى الأسلوب فالأدب نفسه ، ودور الكلمة في الأدب دور كبير ، وأثرها في بناء العمل الأدبي ضخم وجليل"[١٠] .

٦-السابق : ص١٣
٧-ابن هشام : شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص ١٤
٨-السابق : ص١٥
٩-السابق : ص١٩
١٠- السابق : ص٢٥ ،٢٦

رابعا- مؤلفاته :

ظهر اسم الشيخ على عدد كبير من أمهات الكتب منها ما هو تحقيق ، ومنها ما هو شرح ، ومنها ما هو تأليف ، والمجال لا يتسع لذكرها هنا.

الحديث عن الشيخ رحمه الله شاقٌّ وشَيِّق ، شاقٌّ في التعامل مع غزارة إنتاجه ، وشيِّق في الاغتراف من بحر علمه ، والتنفس في أجواء سيرته الطيبة ، رحم الله الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد ، فقد توفي " في٢٤ من ذي القعدة سنة ١٣٩٢ه-٣٠من ديسمبر سنة ١٩٧٢م " [١١] ، وقد أدى ما عليه تجاه الدين والعلم والوطن ، غفر الله له ولعلماء الأمَّة المخلصين .

بين المحقق والناقد:

أوجه الاختلاف :

يتمتع الناقد والمؤلف بحرية لا يتمتع بها المحقق، فقد " يقتضي التحقيق في الغالب الانتظام الدقيق في اتباع الخطوات المتتابعة، والمتناسقة، توفيرا للجهد، وتحقيقا للفائدة"[١٢] وإن كان المحقق يستخدم أحيانا بعض أدوات الناقد وثقافته، لكنه يوظفها في " تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه " [١٣] ، ومن ثم فإنَّ المحقق يفقد جزءا من الحرية التي يتمتع بها الناقد والمؤلف ، وهذا يعد مكمن الصعوبة عند مَنْ يتصدى للتحقيق ، إضافة إلى ذلك فإن ثقافة كل من الناقد والمؤلف تكون في حدود الفن أو الجنس الأدبي الذي

١١- ابن هشام : شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص١٣

١٢- غازي عناية:إعداد البحث العلمي – دار الجيل – بيروت الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ-١٩٩٢م،ص ١٠٠

١٣- عبدالسلام محمد هارون :تحقيق النصوص ونشرها- مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة السابعة –١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص ٤٢

يعالجه ، لا تتعداه ، أما ثقافة المحقق فينبغي أن تكون موسوعية ، لكنها توظف في إطار النص المحقق .

دافع الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد في مقدمة كتاب (المثل السائر) عن الجهد الذي يبذله المحقق ، في مقابل الجهد الذي يبذله المؤلف، فقال : "أحب أن تعلم أنَّ الجهد الذي يبذله من يحقق كتابا من كتب أسلافنا لا يقل عن الجهد الذي يبذله مؤلف كتاب حديث، بل أنا أجاهر بأن جهد الأول فوق جهد الثاني، وفرق بين من يعمد إلى المعارف فيختار منها ما يشاء ، ثم يعبر عما اختار بالأسلوب الذي يرضاه ، وبين آخر لا يسعه إلا إثبات ما بين يديه بالأسلوب الذي اختاره صاحبه منذ مئات السنين " [١٤] .

أوجه التشابه :

هناك أمور مشتركة بين المحقق والناقد ، فكل منهما مطلوب منه توضيح الآتي :

"١- التعريف بالمغمور والمبهم من أعلام الناس والبلدان بالقدر الذي يخدم النص ويوضحه وييسر الانتفاع به ...

٢- شرح الألفاظ الصعبة والغريبة التي تحوج إلى الرجوع إلى المعاجم .

٣- توضيح الرموز والمصطلحات التي ترد في النص ، مع بيان دلالتها في عصرها " [١٥] .

أما بالنسبة للشعر فإنَّ المحقق مطلوب منه " تخريج الأشعار والأرجاز بالرجوع إلى الدواوين ، فإن لم يكن للشاعر ديوان ، يرجع إلى مجاميع الشعر

١٤- ابن الأثير :المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد - مصطفى البابي الحلبي- مصر-١٩٣٩م-ج١،ص ج

١٥- يحي وهيب الجبوري: منهج البحث وتحقيق النصوص - دار الغرب الإسلامي- بيروت - الطبعة الأولى-١٩٩٣ م،ص١٥١

وكتب الأدب والنحو والنقد والبلاغة والتاريخ والبلدان ، التي تستشهد بالشعر، وينسب الشعر إلى قائله إذا كان غير منسوب ، ويبين اختلاف الرواية ، ويصحح النص وينبه إلى صوابه في الهامش ، وإن كان البيت مكسورا أقامه "[١٦] ، والناقد يشترك مع المحقق في هذه الأمور إذْ إنه يساعدنا في فهم وتذوق النص ، كي نستطيع " أن نتجاوز مرحلة مجرد الاستمتاع ، وأن نمضي بالنص لما هو أبعد منها ؛ لنضع يدنا على مهابط الجمال فيه وأسبابها ، أو لنفسر اتجاهات الشاعر وإبداعه " [١٧] .

وظف الشيخ محمد محيي الدين – رحمه الله – معارفه العلمية في تحقيقاته ؛ فاستخدم وظيفة الناقد حينا ، ووظيفة المؤلف والمؤرخ الأدبي حينا آخر ، وظهر ذلك جليا في شرح الأشموني " حيث توسَّع توسعا مفرطا في شرحه وطُبِعَت منه عدة أجزاء، وقف الناشر عندها، دون أن يجازف بطبع الكتاب كاملا، وبمراجعة ما طُبِع نجد المحقق ، جاوز النحو إلى سواه ، فكان إذا تعرَّض إلى بيت ذكر قصيدته كلها ، وقام بشرحها ، وكأنه يسلك في ذلك مسلك أستاذه الكبير (سيّد بن علي المرصفي) في شرح الكامل"[١٨]، وبهذا الأسلوب بدت خصائص منهج نقدي في تحقيقات الشيخ .

المنهج النقدي

لم يكن للشيخ منهج محدد ، وإنما تشربت ثقافته كل المناهج النقدية ، فاستفاد منها ، وطور فيها ، وأضاف إليها ، ومن ثم فإن منهجه اتسم بالشمولية والتكامل ، وأبرز ما يميز هذا المنهج " أنه يتناول العمل الأدبي من جميع زواياه ،

١٦- السابق : ص ١٥٣

١٧- الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر – مكتبة المتنبي – الدمام – الطبعة التاسعة – ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م ،ص ٩٨

١٨- محمد رجب البيومي : النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين – دار القلم – دمشق – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م –ج٢

ويتناول صاحبه كذلك ، بجانب تناوله للبيئة والتاريخ ، وأنه لا يغفل القيم الفنية الخالصة ، ولا يغرقها في غمار البحوث التاريخية أو الدراسات النفسية ، وإنه يجعلنا نعيش في جو الأدب الخالص ، دون أن ننسى مع هذا أنه أحد مظاهر النشاط النفسي ، وأحد مظاهر المجتمع التاريخية إلى حد كبير أو صغير ." [١٩] .

لقد سار نقد الشيخ في كثير من الاتجاهات ، وظهر له بعض السمات النقدية ، التي تعد في بعضها تكرارا وتقليدا ، وفي بعضها الآخر ابتكارا وتجديدا .

الاتجاهات النقدية :

أولا ـ التأكد من صحة نسبة النص إلى قائله :

التأكد من صحة النص ، وصحة نسبته إلى قائله ،منهج قديم ، اعتمد عليه النقاد القدامى في نقدهم للأشعار ، وكان من أهم الشروط التي يجب أن تتحقق في النقد عند ابن سلام الجمحي ، فقد أكد " أهمية تحقيق صحة النصوص وصحة نسبتها ، وهذه أولى عمليات النقد وأساسه المتين" [٢٠] ، يقول الدكتور شوقي ضيف : " ليست دراسة نصوص الشعر من الأمور الهينة ، فأنت إذا أردت أن تدرس قصيدة لشاعر كان من الواجب عليك أن تستوثق من صحتها ، وأنها لم تضف خطأ إليه . ويتضح ذلك في الشعر القديم ، فقد حصل فيه خلط كثير، فأضيفت قصيدة بعينها إلى غير شاعر، واستمر ذلك حتى العصر العباسي " [٢١] ، والمتتبع لمنهج الشيخ– في هذه الخطوة – يجد اهتمامه الواضح بعملية التوثيق ، التي جاءت على صور عدة :

١٩– سيد قطب : النقد الأدبي (أصوله ومناهجه)– دار الشروق – القاهرة – الطبعة الثامنة – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، ص ٢٦٥

٢٠– محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ،ومنهج البحث في الأدب واللغة – نهضة مصر – الطبعة السابعة – ٢٠٠٨م،ص١٩

٢١– شوقي ضيف : في النقد الأدبي – دار المعارف – مصر – الطبعة السادسة – ١٩٦٢م،ص ١١٩

١- نسبة الأبيات إلى قائليها بعد أن أغفلها القدماء ، ففي قول الشاعر :

فلـــم يَـــدْرِ إلا الله مـــا هيجـــتْ لنـــا ∴ عشـــيةً آنـــاءُ الـــديار وشـــامُها

يقول الشيخ : " هذا البيت من الشواهد التي لم ينسبها أحد ممن احتج بـــه من أئمة النحو ، وهو من شواهد سيبويه(١-٢٧٠)، وقد عثرت بعد طويل البحث على أنه من قصيدة طويلة لذي الرمة غيلان بن عقبة وأولها قوله :

مررنـــا علـــى دار ليّـــة مـــرة ∴ وجاراتهـــا قـــد كـــاد يعفـــو مُقَامُهـــا " [٢٢]

وفي قول الشاعر:

فألفيتُـــه يومـــا يُـــبيرُ عـــدوَّه ∴ ومُجْـــرٍ عطـــاءً يســـتحق المعـــابرا

يقول الشيخ :" البيت من الشواهد التي لم ينسبها أحد من شراح الشواهد ، وهو من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح فيها النعمان بن المنذر"[٢٣] .

٢- الفصل بين النقاد القدامى في نسبة الأبيات إلى قائليها، ففي قول الشاعر:

نحـــن بمـــا عنـــدنا ، وأنـــت بمـــا ∴ عنـــدك راضٍ ، والـــرأي مختلـــف

يقول الشيخ : " هذا البيت نسبه ابن هشام اللخمي وابن برى إلى عمرو بن امرئ القيس الأنصاري ، ونسبه غيرهما – ومنهم العباس في معاهد التنصـيص (ص٩٩بولاق) – إلى قيس بن الخطيم أحد فحول الشعراء في الجاهليـة ، وهـو الصواب ، وهو من قصيدة له ، أولها قوله :

ردَّ الخلـــيطُ الجمـــالَ فانصـــرفوا ∴ مـــاذا علـــيهم لـــو أنهـــم وقفـــوا؟ " [٢٤]

٣ – التعليل لخطأ النقاد في نسبة الأبيات إلى قائليهـا ، ففـي قـول الشاعر :

٢٢- ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٢ / ١٠١،١٠٢

٢٣- السابق : ٣/٢٤٤

٢٤- ابن عقيل : ١/٢٤٤،٢٤٥

تـــزودتُ مـــن ليلـــى بتكلـــيم ســـاعةٍ ∴ فمـــا زاد إلا ضـــعف مـــا بـــي كلامُهـــا

يقول الشيخ : " نسب كثير من العلماء هذا البيت لمجنون بني عامر قـيس بن الملوح ، ولم أعثر عليه في ديوانه ، ولعل السر في نسبتهم البيت له ذكر ليلى فيه " [٢٥] ، وفي قول الشاعر :

جـــزى ربُّـــه عـــني عَـــدِيَّ بـــن حـــاتم ∴ جـــزاء الكـــلاب العاويـــات وقـــد فعـــل

يقول الشيخ : " البيت لأبي الأسود الدُّؤَلي ، يهجو عدي بن حاتم الطائي ، وقد نسبه ابن جني إلى النابغة الذبياني، وهو انتقال ذهن من أبي الفتح ، وســببه أنَّ للنابغة الذبياني قصيدة على هذا الروي"[٢٦] .

٤- ذكر الرواية الصحيحة للأبيات على خلاف استشهاد النحاة بها ، ففـي قـول الشاعر :

فـــلا لغـــوٌ ولا تـــأثيم فيهـــا ∴ ومـــا فَـــاهُوا بـــه أبـــداً مقـــيمُ

يقول الشيخ : " البيت لأمية بن أبي الصلت ، ولكن الشارح – كغيره من النحاة- فقد لفق صدر بيت من أبيات كلمة أمية على عجز بيت آخر منها ، وصواب إنشاد البيتين هكذا :

ولا لغـــوٌ ولا تـــأثيمَ فيهـــا ∴ ولا حـــيْنٌ ولا فيهـــا ملـــيمُ

وفيهـــا لحـــمُ ســـاهرةٍ وبجـــرٍ ∴ ومـــا فـــاهوا بـــه أبـــداً مُقـــيمُ " [٢٧]

ثانيا: التعريف بالشاعر :

التعريف بالشاعر لا يعني ذكر كل شيء عن الشاعر، كـأن تكـون ترجمـة بالمعنى الواسع للترجمة ، وإنما المقصود ذكر ما له علاقة بالقصـيدة ، وهـذه خطوة مهمة على طريق فهم النص إذ " ليس ثمة سبب على الإطلاق يحول دون

٢٥- السابق :٢ /١٠٣

٢٦- السابق : ٢ / ١٠٨، ١٠٩

٢٧- السابق : ٢ / ١٥

أن نترجم للشاعر، وأي ناقد جاد في عمله ، ويدرك خطورة مهمته ، وقادر على مواجهة البحث وصعوبته لابد أن يعرف شيئا عن حياة الشاعر الذي يقرأ شعره"[٢٨] .

ومنهج الشيخ في الترجمة لم يسر في اتجاه واحد ، فأحيانا يكتفي بذكر اسم الشاعر ؛ إذا كان مشهورا ، كأن يقول :هذا البيت لحاتم الطائي الجواد المشهور، أو هذا البيت من قصيدة لحسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ ، وأحيانا يذكر مكانة الشاعر بين الشعراء في عصره ، ففي قول الشاعر :

أقِلِّي اللوم – عاذلَ – والْعِتَابَنْ ∴ وقُولي – إن أصبتُ – لقد أصابنْ

يقول الشيخ : " هذا البيت من الطويل ، لجرير بن عطية بن الخطفي ، أحد الشعراء المجيدين ، وثالث ثلاثة ألقيت إليهم مقادة الشعراء في عصر بني أمية ، وأولهم الفرزدق ، وثانيهم الأخطل "[٢٩] ، وفي قول الشاعر :

أزِفَ التَّرحل غيرَ أنَّ ركابنا ∴ لما تزل برحالنا وكأنْ قدِنْ

يقول الشيخ : " هذا البيت للنابغة الذبياني ، أحد فحول شعراء الجاهلية ، وثالث شعراء الطبقة الأولى منهم ، والحكم في عكاظ " [٣٠] ، وأحيانا يحدد الشكل أو النوع الشعري الذي تفوق فيه الشاعر على غيره كما يشير إلى مكانة الشاعر العلمية في عصره . من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

وقاتِمِ الأعْمَاقِ خاوي المخْتَرَقْنْ ∴ مشتبهِ الأعلام لماع الخفَقْنْ

يقول الشيخ : " هذا البيت لرؤبة بن العجاج ، أحد الرجاز المشهورين ... والذي أخذ عنه العلماء أكثر غريب اللغة ، وكان في عصر بني أمية" [٣١] .

٢٨- الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر ، ص ١٠٠
٢٩- ابن عقيل : شرح بن عقيل : ١ / ١٨
٣٠- السابق : ١ / ١٩
٣١- ابن عقيل : شرح ابن عقيل :١ / ٢٠

ومن الترجمات المختصرة التي لها صلة بالأبيات ، ما جاء في قول أم عقيل بن أبي طالب :

أنت تكون ماجد نبيل ∴ إذا تهُبُّ شمْألٌ بَلِيلُ

يقول الشيخ : " هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف ، وهي زوج أبي طالب بن عبدالمطلب ، عم النبي ﷺ ، وأبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ؛ تقوله وهي ترقص ابنها عقيلا ، ويروى بيت الشاهد مع ما قبله هكذا :

إنَّ عقيلا كاسمِهِ عقيلُ ∴ وبيَبِي الملَفَّفُ المحمولُ

أنت تكونُ السَّيِّدُ النبيلُ ∴ إذا تَهُبُّ شَمْألٌ بليلُ

يُعطي رجالَ الحيِّ أو يُنِيلُ " (٣٢) .

ويقوم الشيخ أحيانا بالربط بين القصيدة ومذهب الشاعر السياسي من خلال الترجمة ، وهذا الربط يساعد القارئ كثيرا في فهم القصيدة ، من هذا ما جاء في قول الشاعر :

تولَّى قتال المارقين بنفسه ∴ وقد أسلماه مُبْعَدٌ وَحَمِيمُ

يقول الشيخ :" البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات ، يرثي مصعب بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما وكان عبيد الله بن قيس هذا من شيعة الزبيريين ، وكان مصعب قد خرج على الخلافة الأموية مع أخيه عبدالله بن الزبير، وعبيد الله بن قيس الرقيات هو الذي يقول :

كيف نومي على الفراش ولما ∴ تشملِ الشامَ غارةٌ شعواءُ

تُذهلُ الشيخَ عن بنيه ، وتُبدي ∴ عن براها العقيلةُ العذراءُ

ولما قتل مصعب بن الزبير قال كلمة يرثيه بها ، منها بيت الشاهد " (٣٣) .

٣٢- السابق : ١ / ٢٩٢

٣٣- ابن عقيل : شرح بن عقيل : ٢ / ٨١

ثالثا – بيان مناسبة القصيدة :

ذكر المناسبة تعد خطوة مهمة في تحليل الشعر ونقده؛ لأن معرفة المناسبة تساعد المتلقي على فهم القصيدة، وتقبلها، والاقتناع بها، وكثير من الألفاظ تفهم دلالاتها، إذا فسرت التجربة الشعرية من خلال المناسبة، وأهمية ذكرها تكشف" اللحظة الوجدانية الخاصة، التي جعلت الشاعر ينطق بقصيدته"(٣٤).

اعتنى الشيخ محمد محيي الدين بذكر المناسبة للأبيات ، حتى أننا نجده يتحدث عنها بعد ذكر الغرض الشعري ، وقبل الحديث عن مفردات اللغة والمعنى العام ، وجاء منهجه في عرض المناسبة على النحو الآتي :

١ – ذكر المناسبة وحدها دون شيء آخر، من هذا ما جاء في قول الشاعر :

دعانيَ من نجدٍ ، فإنَّ سنينَهُ ∴ لعبن بنا شيبا وشيَّبْنَنَا مُرْدَا

يقول الشيخ : " البيت للصمة بن عبدالله ، أحد شعراء الدولة الأموية ، وكان الصمة قد هوى ابنة عم له اسمها ريا ؛ فخطبها ، فرضي عمه أن يزوجها له على أن يمهرها خمسين من الإبل ، فذكر ذلك لأبيه ، فساق عنه تسعة وأربعين ، فأبى عمه إلا أن يكملها له خمسين وأبى أبوه أن يكملها ، ولج العناد بينهما ، فلم ير الصمة بداً من فراقهما جميعا ، فرحل إلى الشام ؛ فكان وهو بالشام يحن إلى نجد أحيانا ويذمه أحيانا أخرى ، وهذا البيت من قصيدة له في ذلك " (٣٥) .

٢– ذكر المناسبة ونقدها ، من هذا ما جاء في قول الشاعر :

أقسم بالله أبو حفص عمر

يقول الشيخ : " هذا أول رجز لعبدالله بن كَيْسبة ... وبعده :

ما مسَّها من نقبٍ ولا دَبَر ∴ فاغفر له اللهم إن كان فجر

٣٤– شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ص ١٢٤

٣٥– ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ١ / ٦٥

وكان من حديثه أنه أقبل على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – ﷺ – فقال يا أمير المؤمنين ، إن أهلي بعيد ، وإن ناقتي دبراء نقباء ، فاحملني ، فقال عمر: كذبت ، والله ما بها من نقب ولا دبر، فانطلق فحل ناقته ثم استقبل البطحاء ، وجعل يقول هذا الرجز، وعمر– ﷺ – مقبل من أعلى الوادي ، فسمعه ، فأخذ بيده ، وقال له ضع عن راحلتك ، فلما تبين له صدقه حمله وزوده وكساه ، كذا قال المرزباني في معجم الشعراء ، وما نحسب القصة على هذا التفصيل ، فإنَّ فيها مالا نسيغه " (٣٦) .

٣– ذكر بقية الأبيات التي تتعلق بالمناسبة ، من هذا ما جاء في قول الشاعر :

لا تَجْزعـــي إنْ مـــنفسٌ أهلكتـــه ∴ فـإذا هلكـتُ فعنـد ذلـك فـاجزعي

يقول الشيخ : "هذا البيت ... من كلمة للنمر بن تولب يجيب فيه امرأته وقد لامته على التبذير، وكان من حديثه أنَّ قوما نزلوا به في الجاهلية ، فنحر لهم أربع قلائص ، واشترى لهم زق خمر، فلامته امرأته على ذلك ؛ ففي هذا يقول:

قالـت لتعـذلني مـن الليـل: اسمـع، ∴ سَـفَهُ تَبَيُّتُـكِ الملامـةَ فـاهجعي

لا تجزعـي لغـدٍ ،وأمـرُ غـدٍ لَـهُ ، ∴ أتَعَجَّلِـينَ الشَّـرَّ مـا لم تمنـع

قامـتْ تُبَكِّـي أنْ سَـبَأْتُ لفتيـةٍ ∴ زِقًـا وخابيـةً بعَـوْدٍ مُقْطَـعِ " (٣٧)

رابعا – بيان الغرض الشعري :

الغرض الشعري هو العنوان الرئيس لأي قصيدة شعرية، والحديث عنه مهمة أساسية من مهمات الناقد؛ لأن ما يندرج في القصيدة من موضوعات وأفكار يمكن أن يخرج عن الغرض ، وإذا كانت الأغراض متعددة داخل القصيدة نبه عليها الناقد أثناء التحليل ، أما إذا كان البيت أو النص الشعري مجتزأ من

٣٦– ابن عقيل: شرح ابن عقيل: ٣ / ٢١٩

٣٧– السابق: ٢ / ١٣٣

قصيدة ، فإنه يتعين على الناقد تعيين الغرض العام للقصيدة ، ثم تعيين الغرض الخاص الذي تندرج تحته هذه الأبيات المجتزأة – إن كانت خارجة عن الغرض العام – حتى يكون القارئ على بَيِّنَة من الأمر ، وتعامل الشيخ مع الغرض الشعري ، جاء على صور عدة :

١– الاكتفاء بذكر الغرض العام للقصيدة ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

أنا ابن دارة معروفا بها نسبي ∴ وهل بدارة يا لَلنَّاس من عار

يقول الشيخ: "البيت لسالم بن دارة ، من قصيدة طويلة يهجو فيها فزارة"[٣٨] ، ومثل ذلك ما جاء في قول الشاعر:

تزودْ مثلَ زادِ أبيكَ فينا ∴ فنعم الزادُ زادُ أبيكَ زاد

يقول الشيخ : " البيت لجرير بن عطية ، من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز بن مروان " [٣٩] .

٢– الحكم بتفوق شاعر على نظرائه في غرض شعري معين:

إنَّ النقاد قديما "عرفوا الأغراض الشعرية التي يجيد فيها الشاعر، أو الغرض الذي انصرف إليه وانفرد به وبرع فيه"[٤٠]، ومن هذاالنوع من النقد ما جاء في قول الشاعر :

على أحوذِيَّيْنِ اسْتَقَلَّتْ عشية ∴ فما هي إلا لمحةٌ وتغيبُ

يقول الشيخ: "البيت لحميد بن ثور الهلالي الصحابي، أحد الشعراء المجيدين، وكان لا يقاربه شاعر في وصف القطاة ، وهو من أبيات قصيدة له يصف فيها القطاة ، وأول الأبيات التي يصف فيها القطاة قوله :

٣٨– ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٢ / ٢٧٧

٣٩– السابق : ٣ / ١٦٤

٤٠– طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب – دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى–١٤٠٥هـ –١٩٨٥م، ص٤٤

كمـا انْقَبَضَـتْ كَـدْرَاءُ تَسْـقي فِرَاخَهـا ∴ بِشَـــمْظَةَ رِفْهَـــاً والميـــاهُ شـــعوبُ
غَـدَتْ لم تُصَـعِّدْ في السـماءِ ،وتحتهـا ∴ إذا نظـــرتْ أهْوِيَّـــةٌ ولُهُـــوبُ
فجـاءتْ ومـا جـاء القَطَـا، ثـمَّ قلَّصَـتْ ∴ بمفحصـــها، والـــواردات تنـــوبُ "[٤١]

٣- الإشارة إلى تفضيل الشاعر لأحد الخصمين في فن المنافرات :

و"المنافرة أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه، ثم يُحَكِّمَا بينهما رجلا كفعل علقمة بن عُلاثَةَ مع عامر بن طفيل حين تنافرا إلى هرم ابـن قُطْبَـة الفزاريِّ؛ وفيهما يقول الأعشى يمدح عامر بن طفيل ويحمل علـى علقمـة بـن عُلَاثَةَ:

قـد قلـتُ شـعري فمضـى فيكمـا ∴ واعـــترفَ المنفـــور للنـــافر " [٤٢]

من ذلك ما جاء في قول الشاعر:

ولسـتَ بـالأكثر مـنهم حصـى ∴ وإنمـا العـزة للكـاثر

يقول الشيخ:"البيت للأعشى ميمون بن قيس، من كلمة له يهجو فيها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل، وذلك في المنافرة التي وقعت بينهما"[٤٣].

خامسا – تحديد بيئة النص :

النص الشعري وليد بيئته ، ومن ثَمَّ نستطيع من خلاله أن نحدد خصـائص البيئة ، ومكوناتها وانعكاساتها على نفسية الشاعر وشعره ، لذلك " لابد أن يكون لنا علم بالتاريخ،حتى نكون على بصيرة بالزمن الذي أُلِّف فيه الـنص الشـعري وبصاحبه وظروفه التي اضطرب فيها ، فإنَّ في ذلك ما يلقي أضواء كثيرة علـى النص الشعري ، فنفهمه فهما حسنا ، أو قل نستكشفه استكشافا حسنا ، إذ نطلع

٤١- ابن عقيل : شرح بن عقيل : ١ / ٦٩
٤٢- ابن منظور : لسان العرب ، مادة (نفر)
٤٣- السابق : ٣ / ١٨٠

على خصائصه وما يميزه"[٤٤]، كما أن بيئة النص تساعد في التعرف على " التيار الأدبي الذي كان سائدا على أيامه: عصر طبْع أو صنعة،أصالة أو تقليد، تجديد أو محافظة ؟ " [٤٥] .

إنَّ الشيخ – رحمه الله – تناول بيئة النص من جوانب عدة ، إما عن طريق التعريف بالشاعر وعصره، أو التأكد من نسبة النص إلى قائله ، أو ذكر مناسبة القصيدة ، ثم أشار هنا إلى أهمية المكان في نفوس العرب ، ودوره في تجاربهم الشعرية ، يظهر ذلك جليا في تحليله لقول الشاعر:

فَسَاغ لِيَ الشراب وكنتُ قبلاً ∴ أكاد أغصُّ بالماء الحميم

يقول الشيخ " البيت ليزيد بن الصعق ، حدَّث أبو عبيدة ، قال : كانت بلاد غطفان مخصبة فرعت بنو عامر بن صعصعة ناحية منها ، فأغار الربيع بن زياد العبسي على يزيد بن الصعق ، وكان يزيد في جماعة من الناس ، فلم يستطعه الربيع ، فأقبل على سروح بني جعفر والوحيد ابني كلاب ، فأخذ نعمه ، فحرم يزيد على نفسه النساء والطيب حتى يغير عليه ، فجمع قبائل شتى ، فاستاق نعما كثيرة له ولغيره ، وأصاب عصافير النعمان بن المنذر– وهي إبل معروفة عندهم– ففي ذلك يقول يزيد بن الصعق أبياتا منها بيت الشاهد ، ومنها قوله :

ألا أبلغْ لديك أبا حُرَيْثٍ ∴ وعاقبةُ الملامةِ لِلْمُلِيمِ

فكيف ترى مُعاقبتي وَسَعْيي ∴ بأذوادِ الْقَصِيبَةِ والقصيمِ " [٤٦]

سادسا – نقد الألفاظ :

من المفاتيح المهمة التي يستخدمها الناقد ؛ لفتح مغاليق النص : تفسير الألفاظ ، ومعروف أن ألفاظ الشاعر" ليست ألفاظا محددة الدلالة ، يدل بها

٤٤– شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ص ١٢٠

٤٥– الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر ،ص ١٠٢

٤٦– ابن عقيل : شرح بن عقيل : ٣ / ٧٣

الشعراء على أشياء حسية من واقعهم الخارجي، فإنهم لا يعبرون عن هذا الواقع ومسمياته الحقيقية ، إنما يعبرون عن واقعهم النفسي وما تختلج به نفوسهم من مشاعر وأحاسيس"[٤٧]، وتتنوع استخدامات الألفاظ؛ تبعا لتنوع أمزجة الشعراء، فهناك اللفظ المعجمي، واللفظ البلاغي، واللفظ الشعري، ثم يأتي النقد؛ ليرشدنا إلى معرفة دلالات الألفاظ ، وصلتها بالمعنى المقصود .

والشيخ – رحمه الله – نظر في الألفاظ من جوانب عدة ، فجاءت رؤيته النقدية شاملة ومتنوعة ، على النحو الآتي:

١– ضبط اللفظ بما يتناسب مع القاعدة النحوية ، ففي قول الشاعر :

لكَ العزُّ إنْ مولاكَ عزَّ ، وإنْ يَهُن ∴ فأنت لدى بُحْبُوحَةِ الهُون كائنُ

يقول الشيخ: "يهن يروى بالبناء للمجهول كما قاله العيني ، وتبعه عليه كثير من أرباب الحواشي، ولا مانع من بنائه للمعلوم بل هو الواضح عندنا ؛ لأن الفعل الثلاثي لازم ، فبناؤه للمفعول مع غير الظرف أو الجار والمجرور ممتنع ، نعم يجوز أن يكون الفعل من أهنته أهينه ، وعلى هذا يجوز ما ذكره العيني ، ولكنه ليس بمتعين ، ولا هو مما يدعو إليه المعنى ، بل الذي اخترناه أقرب ؛ لمقابلته بقوله (عز) الثلاثي اللازم " [٤٨].

٢– تصحيح اللفظ بما يتناسب مع المعنى ، ففي قول الشاعر :

فخير نحن عند الناس منكم ∴ إذا الداعي المثَوِّبُ قال : يالا

يقول الشيخ : " (الناس) هكذا هو بالنون في كافة النسخ ويروى(البأس) بالباء والهمزة وهو أنسب بعجز البيت " [٤٩] .

٤٧– شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ص١٢٩

٤٨– ابن عقيل : شرح بن عقيل : ١/٢١١، ٢١٢

٤٩– السابق : ١/ ١٩٤

٣- ذكر معنى اللفظ المعجمي إذا كان هو المراد ، ففي قول الشاعر :

لا أقعد الجبن عن الهيجاء ∴ ولو توالت زمر الأعداء

يقول الشيخ :" (الجُبْن) هو الهيبة والفزع وضعف القلب والخوف من العاقبة"(٥٠)، وفي قول الشاعر :

رمى الحِدْثان نسوة آل حرب ∴ بمقدارٍ سَمَدْن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ∴ ورد وجوههن البيض سودا

يقول الشيخ :" (الحدثان) جعله العيني عبارة عن الليل والنهار ، وكأنه حسبه مثنى ، وإنما الحِدْثان-بكسر فسكون- نوازل الدهر وحوادثه " (٥١).

٤- تحديد المراد من اللفظ إذا كان له أكثر من معنى ، ففي قول الشاعر :

رأيتُ الله أكبرَ كُلِّ شيْءٍ ∴ محاولةً وأكثَرَهُم جُنُودا

يقول الشيخ : " (محاولة) تطلق المحاولة على القوة والقدرة ، وتطلق على طلب الشيء بحيلة، والمعنى الثاني من هذين لا يليق بجانب الله تعالى " (٥٢) ، وفي قول الشاعر :

هل أنت باعثُ دينارٍ لحاجَتنا ∴ أو عبد ربٍ أخا عون بن مخراق

يقول الشيخ: "(دينار) اسم رجل، أو اسم جارية، أو اسم لقطعة النقد المعروفة، والأول أولى؛ لكونه قد عطف عليه (عبدرب) وبين أنه أخو عون بن مخراق"(٥٣).

٥- تحديد المراد من اللفظ إذا خرج عن مدلولاته المعجمية ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

علمتُكَ الباذلَ المعروفَ فانْبَعَثتْ ∴ إليك بي واجفاتُ الشوقِ والأمل

٥٠- ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٢ / ١٨٨، ١٨٩

٥١- السابق : ٢ / ٤٢

٥٢- السابق : ٢ / ٢٩

٥٣- السابق : ٣ / ١٢٠

يقول الشيخ : " (واجفات) أراد بها دواعي الشوق وأسبابه التي بعثته على الذهاب إليه ، وهي جمع واجفة ، وهي مؤنث اسم من الوجيف ، وهو ضرب من السير السريع " [٥٤] .

٦- طرح معنيين للفظ إذا خرج عن مدلولاته المعجمية ، ففي قول الشاعر :

دُرِيتَ الْوَفِيَّ الْعَهْدَ يَا عُرْوَ فَاغْتَبِطْ ∴ فَإِنَّ اغْتِبَاطاً بِالْوَفَاءِ حَمِيدُ

يقول الشيخ : " وأراد الشاعرُ بأمره بالاغتباط أحد أمرين ؛ أولهما : الدعاء له بأن يدوم له ما يغبطه الناس من أجله ، والثاني: أمره بأن يبقى على اتصافه بالصفات الحميدة التي تجعل الناس يغبطونه"[٥٥] .

٧- التعليل لاختيار الشاعر لبعض ألفاظه ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر:

يا تيمُ تيمَ عديٍّ لا أبا لكُمُ ∴ لا يلقينكم في سَوْأَةٍ عُمَرُ

يقول الشيخ : " أضاف تيما إلى عدي ـ وهو أخوه ـ للاحتراز عن تيم مرة ، وعن تيم غالب بن فهر وهما في قريش ، وعن تيم قيس بن ثعلبة ، وعن تيم شيبان ، وعن تيم ضبة "[٥٦] ،وفي قول الشاعر :

يا زيدُ اليعملات الذُّبَّل ∴ تطاول الليل عليك فانزل

يقول الشيخ :" بيت لعبدالله بن رواحة الأنصاري ، يقوله في زيد بن أرقم – وكان يتيما في حجره – يوم غزاة مؤتة ... و(اليعملات) الإبل القوية ... وأضاف زيدا إليها لحسن قيامه عليها ومعرفته بحدائها " [٥٧] ، ومن ذلك أيضا ما جاء في قول الشاعر :

نَصَرْتُكَ إذْ لا صاحبٌ غيرَ خاذلٍ ∴ فَبُوِّئْتَ حِصْناً بالكُمَاةِ حَصِينَا

٥٤- ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٢ / ٣٠
٥٥- السابق : ٢ / ٣١
٥٦- السابق : ٣ / ٢٧٠/٢٧١
٥٧- السابق : ٣ / ٢٧٢

يقول الشيخ: "الكماة: جمع كَمِيّ ، وهو الشجاع المتكمي في سلاحه ، أي المستتر فيه المتغطي به ، وكان من عادة الفرسان المعدودين أن يكثروا من السلاح وعدد الحرب ، ويلبسوا الدرع والبيضة والمغفر وغيرهن ، لأحد أمرين ، الأول : الدلالة على شجاعتهم الفائقة ، والثاني : لأنهم قتلوا كثيرا من فرسان أعدائهم ، فلكثير من الناس عندهم ثارات ؛ فهم يتحرزون من أن يأخذهم بعض ذوي الثارات على غرة " [٥٨] .

سابعا – شرح المعنى ونقده:

من مهمات الناقد الأدبي نثر الأبيات وشرحها، والكشف عن غامض معناها، وهذه خطوة تحتاج إلى براعة واقتدار؛ لأن الناقد يضع نصب عينيه أمرين أحدهما أصعب من الآخر : الأول : ألا يكون معنى الأبيات موجزا مخلا ، الثاني : ألا يكون مبسوطا مملا . ومن هنا فإن شرح الشيخ جاء بعيدا عن هذين الأمرين في الغالب ، فكان وسطا ، ولم يخلُ من الإطناب حينا والإيجاز حينا آخر ، وتنوع الشرح من بيت إلى بيت ، ومن شعر إلى آخر ، حسب صعوبة الألفاظ ، أو سهولتها ، وحقيقة الألفاظ أو مجازيتها ، ومن صور تفسير الشيخ – رحمه الله – للأبيات ما يأتي :

١ـ الاكتفاء بشرح الأبيات :

تنوع أسلوب الشيخ في شرح الأبيات ، فأحيانا ينثر الأبيات نثرا فنيا ، متأثرا في ذلك بلغة الشاعر، ومن أمثلة ذلك شرح قول الشاعر :

مَشَيْنَ كما اهْتَزَّتْ رماحٌ تَسَفَّهَتْ ∴ أعاليها مَرُّ الرياحِ النَّواسمِ

يقول الشيخ : " إنَّ هؤلاء النسوة قد مشين في اهتزاز وتمايل ، فهن يحاكين رماحا – أي غصونا – مرت بها ريح فأمالتها " [٥٩] ، وأحيان يأتي الشرح وسطا بين الإيجاز والإطناب ، يظهر ذلك في قول الشاعر:

٥٨–ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ١/ ٣١٤

٥٩– السابق : ٣ / ٥٠

كنـــاطحٍ صـــخرةً يومـــا ليوهِنَهَـــا ∴ فلـــم يضـــرها ، وأوهـــى قرنَـــه الوعـــلُ

يقول الشيخ :" المعنى : إن الرجل الذي يكلف نفسه ما لا سبيل له إليه ، ولا مطمع له فيه ، كالوعل الذي ينطح الصخرة ؛ ليضعفها ، فلا يؤثر فيها شيئا ، بل يضعف قرنه ويؤذيه " [٦٠] ، وربما يعمد الشيخ إلى الإطناب ؛ لصعوبة قد يجدها القارئ في فهم البيت ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

غَـدَتْ مـن عليـه بعـد مـا تم ظِمْؤُهـا ∴ تَصِـلُّ ، وعـن قَـيْضٍ بزَيْـزَاء مَجْهَـلِ

يقول الشيخ: "إنَّ هذه القطاة انصرفت من فوق فراخها بعد مـا تمـت مـدة صبرها عن الماء، حال كونها تصوت أحشاؤها لعطشها بسبب بعد عهدها بالماء، وطارت عن بيضها الذي وضع بمكان مرتفع خال من الأعلام التي يهتدى بها"[٦١].

٢ـ شرح الأمثال :

اعتمد الشيخ – رحمه الله– في منهجه على شرح الأمثال التي يرد ذكرها في الأبيات ؛ فيذكر قصة المثل ، وهذا يساعد إلى حد كبير في فهم المعنى الـذي يقصده الشاعر ، من ذلك ما ورد في قول الشاعر :

تُخَيِّـرنَ مِـنْ أزمـانِ يـومِ حليمـةٍ ∴ إلى اليـومِ قـد جُـرِّبْنَ كـلَّ التَّجَـارِبِ

يقول الشيخ : " البيت للنابغة الذبياني من قصيدة له مطلعها قوله :

كِلِينِـي لِهَـمٍّ يـا أُمَيْمَـةُ ناصِـبِ ∴ وليـلٍ أُقاسِـيهِ بَطِـيءِ الكواكـبِ

...(يوم حليمة) يوم من أيام العرب المشهورة حدثت فيه حرب طاحنة بين لخم وغسان ، وحليمة هي بنت الحارث بن أبي شمر الغساني ، أضيف اليوم إليهـا ؛ لأن أباها – فيما ذكروا – حين اعتزم توجيه جيشه إلى المنـذر أمرهـا فجـاءت

٦٠–ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٣ / ١٠٩

٦١– السابق : ٣ / ٢٨، ٢٩

فطيبتهم ، وفي يوم حليمة ورد المثل (ما يوم حليمـــة بِسِـــرٍّ) يضـــرب للأمـــر المشتهر والذي لا يُستطاع كتمانه ." (٦٢).

٣ـ ذكر أكثر من معنى للبيت :

يذكر الشيخ أكثر من معنى للبيت ؛ عندما يُذْكَر بأكثر من روايـــة ، مـــن ذلك ما جاء في قول الشاعر :

سَـــرَاةُ بـــني أبـــي بكـــرٍ تَسَـــامى ∴ علـــى كـــانَ المُسَـــوَّمةِ العِـــراب

يقول الشيخ : " ويروى المصراع الأول منه : جياد بني أبي بكر تســامى ... ويروى: على كان المطَهَّمَةِ الصِّلابِ ... المعنى : من رواه (سراة بني أبي بكـــر ...إلخ) فمعناه : إن سادات بني أبي بكر يركبون الخيول العربية التي جعلت لها علامة تتميز بها عما عداها من الخيول . ومن رواه (جياد بني أبي بكر...إلـــخ) فمعناه : إن خيول بني أبي بكر لتسمو قيمتها ويرتفع شأنها على جميع ما عداها من الخيول العربية ، يريد أن جيادهم أفضل الجياد وأعلاها " (٦٣) .

٤ـ نقد المعنى :

تنوع نقد الشيخ للمعنى ؛ فجاء في صور عدة :

أ- نقد المعنى نفسه ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

أهابُـــكِ إجـــلالا ، ومـــا بـــكِ قـــدرةٌ ∴ علـــيَّ ، ولكـــن مِـــلءُ عـــينٍ حَبِيبُهَـــا

يقول الشيخ : " المعنى : إني لأهابكِ وأخافكِ ، لا لاقتـــدارِكِ علـــيَّ ، ولكـــن إعظاما لقدركِ ؛ لأن العين تمتلئ بمن تحبه فتحصل المهابة ، وهو معنـــى أكثـــر الشعراء منه " (٦٤) .

٦٢- السابق : ٣ / ١٦

٦٣- ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ١ / ٢٩١

٦٤- السابق : ١ / ٢٤١

ب – النقد المبني على المعنى ، وذلك عن طريق رد الاستشكال في البيت عن طريق المعنى : ففي قول الشاعر :

فـــــلا والله لا يُلفـــــى أنـــــاسٌ ∴ فتـــىً حتَّـــاك يـــا ابْـــنَ أبـــي زيـــاد

يقول الشيخ : " (حتَّاك) استشكل أبوحيان هذه العبارة فقال (وانتهاء الغاية فـي حتاك لا أفهمه ، ولا أدري ما عني بحتَّاك ، فلعل هذا البيت مصنوع ، وستعرف رد الكلام . المعنى : يريد الشاعر أن يقول : إن الناس لا يجدون فتـى يرجونـه لقضاء مطالبهم حتى يبلغوا الممدوح ، فإذا بلغوه فقد وجدوا ذلك الفتى ، وبهـذا التقرير يندفع كلام أبي حيان " [٦٥] .

ج – التنبيه على اقتباس الشاعر للمعنى :

ففي قول الشاعر:

مَـــنْ لا يـــزالُ شـــاكراً علـــى الْمَعَـــهْ ∴ فهْـــو حـــرٍ بعيشـــةٍ ذاتِ سَـــعَه

يقول الشيخ : " المعنى : من كان دائم الشكر لله على ما هو فيه من خيـر فإنـه يستحق الزيادة ورغد العيش ، وهو مأخوذ مـن قولـه تعـالى:(لـئن شـكرتم لأزيدنكم)[٦٦] " [٦٧] ، وفي قول الشاعر :

لَّـــا رأى طـــالبوه مصـــعباً ذُعـــروا ∴ وكـــاد لـــو ســـاعد المقـــدور ينتصـــرُ

يقول الشيخ : " البيت لأحد أصحاب مصعب بن الزبير– رضـي الله عنهمـا – يرثيه...(ذعروا) أخذهم الخوف (كاد ينتصر) ؛ لأن خوفهم منه أعظـم وسـيلة لانتصاره عليهم ، وهو مأخوذ من قوله ﷺ (نصرتُ بالرعب)[٦٨]"[٦٩] .

٦٥– ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٣ / ١١
٦٦– سورة إبراهيم : آية /١٨
٦٧– ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ١ / ١٦٠
٦٨– صحيح البخاري : ٢٩٧٧/ ٦٩٩٨ / ٧٠١٣
٦٩– ابن عقبل : شرح ابن عقيل : ٢ / ١٠٦

د- الترجيح على أساس المعنى لا الإعراب :

المعروف عند النحاة وعلماء النحو ، أن المعنى تبع للإعراب ، إلا أنَّ الشيخ – رحمه الله – عكس الأمر ، فرجح وجهاً من الإعراب على آخر حسب ما يقتضيه المعنى ، وهو حس وذوق أدبي، كان يتمتع به الشيخ ، وكان يفرض نفسه على شرح القاعدة النحوية ، يتضح ذلك من قول الشاعر :

ولقد أمُرُّ على اللئيمِ يسُبُّني ∴ فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنِيني

يقول الشيخ : " وقال الشارح العلامة : إنه يجوز أن تكون الجملة حالية ، والذي نرجحه هو ما ذهب إليه غير الشارح من تعين كون الجملة نعتا في هذا البيت ؛ لأنه الذي يلتئم معه المعنى المقصود ، ألا ترى أن الشاعر يريد أن يتمدح بالوقار وأنه شديد الاحتمال للأذى ، وهذا إنما يتم له إذا جعلنا اللئيم منعوتا بجملة (يسبني) إذ يصير المعنى أنه يمر على اللئيم الذي شأنه سبه وديدنه النيل منه ، ولا يتأتى هذا إذا جعلت الجملة حالا ؛ إذ يكون المعنى حينئذ أنه يمر على اللئيم في حال سبه إياه ؛ لأن الحال قيد في عاملها فكأن سبه حاصل في وقت مروره فقط ، نعم يمكن أن يقال : إنه لو تحمل ومضى في هذه الحال فهو في غيرها أشد تحملا ، ولكن هذه دلالة التزامية ، والدلالة الأولى وضعية " [٧٠] ، وفي قول الشاعر :

وإنْ مُدَّتِ الأيْدِي إلى الزَّادِ لم أكُنْ ∴ بأعْجَلِهِم ؛ إذْ أجشعُ القومِ أعجلُ

يقول الشيخ : " (أجشع القوم) – الجشع بالتحريك – أشد الطمع (أعجل) هو صفة مشبهة بمعنى عجل ، وليس أفعل تفضيل ؛ لأن المعنى يأباه ، إذ ليس مراده أنَّ الأشد عجلة هو الجشع ، ولكن غرضه أن يقول : إنَّ من يحدث منه مجرد العجلة إلى الطعام هو الجشِع . فافهم ذلك " [٧١]

٧٠- ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٣ / ١٩٦ ، ١٩٧

٧١ – السابق : ١ / ٣١٠ ، ٣١١

ثامنا – نقد النغم الموسيقي :

هناك موسيقى خفية ، تتمثل في الإيقاعات المنتظمة داخل البيت الشعري، وهذا النوع من الموسيقى يجد اهتماما من النقاد في النقد الأدبي الحديث ، أما النقاد القدامى ومن سار على نهجهم ، فقد اهتموا بالموسيقى الظاهرة المتمثلة في علمي العروض والقافية . والشيخ – رحمه الله – ينتمي لهذا الجيل من النقاد ، وقد تنوع نقده للنغم الموسيقي على النحو الأتي :

١ـ نسبة بعض الأبيات إلى بحرها الشعري :

إنَّ الشيخ لم يكن يهتم كثيرا بنسبة كل بيت إلى بحره الشعري ، ومن الأبيات التي نسبها ، قول الشاعر :

فإما كرامٌ مُوسرونَ لقيتُهم ∴ فَحَسْبِي من ذُو عنْدَهُم ما كَفَانِيَا

يقول الشيخ : " هذا بيت من الطويل " (٧٢).

٢ـ نقد البحر الشعري :

كان الشيخ حريصا على تصحيح خطأ السابقين ، عندما ينسب أحدهم بيتا إلى غير بحره ، من ذلك قول الشاعر :

واعْلَمْ فعلمُ المرء ينفعه ∴ أنْ سوف يأتي كُلُّ ما قُدِرَا

يقول الشيخ : " البيت من الكامل ، وقد وهم العيني – رحمه الله – في زعمه أنه من الرجز المسدس " (٧٣) .

٣ـ التنبيه على ظاهرة الإقواء :

" عاب العرب على النابغة الذبياني وبشر بن أبي خازم الإقواء الذي في شعرهما ، أي اختلاف حركة الروي في القصيدة ... فذم الإقواء نقد في الجاهلية؛ لأنه يعيب أمرا لعله من آثار طفولة الشعر ، نقد ؛ لأنه ضعف في الصياغة ،

٧٢– ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ١ / ٤٥

٧٣– السابق : ١ / ٣٨٧

وتنافر في النغم ، يؤذي السمع ، ويذهب بشيء غير يسير من روعة الوزن ، نقد ؛ لأن وحدة حركة الروي في القصيدة أدعى إلى أن يكون الشعر منسجما سائغا " [٧٤] ، ومن تتبع الشيخ لهذه الظاهرة ما جاء في قول الشاعر :

فإنَّ الحُمْرَ من شرِّ المطايا ∴ كَمَا الْحبطَاتُ شَرُّ بَنِي تميمِ

يقول الشيخ : " البيت لزياد الأعجم ، وهو أحد أبيات ثلاثة ، وقبله :

وأعلمُ أنني وأبا حُمَيْدٍ ∴ كَمَا النَّشْوانُ والرجلُ الحليمُ

أريدُ حِبَاءهُ ويريدُ قتلي ∴ وأعلمُ أنه الرجلُ اللئيمُ

والبيتان مرفوعا القافية كما ترى ، وبيت الشاهد مجرورها ، ففيه إقواء " [٧٥] .

٤ـ تصحيح حرف الروي :

الروي: " هو الحرف الذي بُنَيَتْ عليه القصيدة وتنسب إليه ، فيقال: (سينية) و(دالية)، وهكذا " [٧٦] ، وكان بعض النحاة أحيانا يستبدلون حرف الروي في البيت بحرف آخر،فكان الشيخ ينبه على هذا الخطأ ، مستدلا في ذلك بالقصيدة نفسها ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

ينامُ بإحدى مُقْلَتَيْهِ ويتَّقِي ∴ بأخرى المنايا ؛ فهو يقظانُ نائمُ

يقول الشيخ : " البيت لحميد بن ثور الهلالي ، من كلمة يصف فيها الذئب ... وقوله (يقظان نائم) هكذا وقع في أكثر كتب النحاة ، والصواب في إنشاد هذا البيت (فهو يقظان هاجع) ؛ لأنه من قصيدة عينية مشهورة ... وقبله قوله :

إذا خافَ جَوْرا من عدوٍّ رَمَتْ بِهِ ∴ مصائبُهُ والجانبُ المتواسِعُ

٧٤- طه أحمد إبراهيم : النقد الأدبي عندالعرب ، ص١٩

٧٥- ابن عقيل : شرح بن عقيل : ٣ / ٣٢ ، ٣٣

٧٦- محمود مصطفى : أهدى سبيل إلى علمي الخليل – مطبعة محمد علي – القاهرة – الطبعة الثالثة عشر – ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ص ١١٩

وإنْ بـــاتَ وحْشَـــاً ليلـــةً لم يضـــقْ بهـــا ∴ ذِراعـــاً ، ولم يُصـبحْ لهـا وهـو خاشِـعُ "[٧٧]

تاسعا : نقد الصورة الأدبية :

الناقد للشعر القديم يعتمد على علوم البلاغة ، وهذا أمر يفرض نفسه علـــى الناقد قديما، كما يفرض نفسه على الناقد حديثا، عندما يقوم بتحليل ونقد قصـــيدة من الشعر القديم، ولا غرو في ذلك؛ لأن النقد العربي نشأ "في أحضان البلاغـــة ، وتحديدا علم البيان، وكان مصطلح البيان قديما ، يعنـــي أمـــرين ، أولهمـــا مـــا اصطلحنا على تسميته في علوم البلاغة بعلم البيان الذي يعالج التصور الأدبي من خلال التشبيه والاستعارة والكناية وما إليها ، وثانيهما ما يطلق بمعنى عام علـــى التعبير البليغ الذي يشتمل على الفصاحة والتأثير على المســـتمعين أو المتلقـــين. والأمران كما نرى مشتبكان ، لا حدود فاصلة بينهما ، وإن كان كل منهما يصـــب في دائرة خدمة الكلمة الأدبية أو التعبير الأدبي"[٧٨]، ثم إنَّ اعتماد الناقـــد علـــى علوم البلاغة أمر ضروري؛ "ليبين مدى الاستفادة منها في تدعيم الحجة وتقويـــة المعنى، وتحريك المشاعر للعمل عن اقتناع ، فهي من متعلقات الخيـــال ، ولكـــن الخيال هنا سبيل جلاء الحقيقة والبرهنة عليها على نحو ما " [٧٩] .

إنَّ الشيخ – رحمه الله – ركز على جماليات الأســـلوب مـــن خـــلال بيـــان الصورة الأدبية؛ لإبراز المعنى المتخيل في ذهن الشاعر،من خلال التشبيه وغيره، والصورة في الشعر القديم ترتكز على " البناء التراكمي للصورة، حيـــث تتكـــدس الصور داخل القصيدة عبر سلسلة من التشبيهات أو الاستعارات والكنايـــات"[٨٠] ، وقد تنوع تناول الشيخ للصورة الأدبية على النحو الآتي :

٧٧- ابن عقيل : شرح بن عقيل : ١ / ٢٥٩

٧٨- حلمي محمد القاعود : النقد الأدبي الحديث (بداياته وتطوراته) دار النشـــر الولي – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٧هـــ /٢٠٠٦ م ، ص ٩ ،١٠

٧٩- محمد غنيمي هلال:النقد الأدبي الحديث – نهضة مصر١٩٩٧م، ص٢٢٦

٨٠- محمد صالح الشنطي : في النقد الأدبي الحديث – دار الأندلس – حائـــل – الطبعة الأولى – ١٤١٩هـــ / ١٩٩٩ م ، ص ٣٣٤

١ – الصورة من خلال التشبيه :

تشكيل الصورة من خلال التشبيه يعتمد على الخيال ، وهو" ما يثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلا ، ويدعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها ، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى " [٨١] ، وقد اعتنى الشيخ بالصورة الأدبية التي تعتمد على التشبيه ؛ فجاء تفسيره لها على النحو الآتي :

أ – شرح التشبيه :

اعتنى الشيخ بإظهار الصورة الأدبية ، والربط بين جزأيها (المشبه والمشبه به) ، من خلال شرح التشبيه ، ففي قول الشاعر :

تَضِلُّ منه إبلي بالْهوْجلِ ∴ في لَجَّةٍ أمْسِكْ فُلاناً عن فُلِ

يقول الشيخ : " شبه تزاحم الإبل ومدافعة بعضها بعضاً ، بقوم شيوخ في لجة وشر يدفع بعضهم بعضا ، فيقال : أمسك فلانا عن فلان ، أي احجز بينهم ، وخص الشيوخ ؛ لأن الشبان فيهم التسرع إلى القتال ، وقبل بيت الشاهد قوله :

تُثِيرُ أيْدِيهَا عَجَاجَ القَسْطَلِ ∴ إذْ عُصِبَتْ بالعَطَنِ المَغْرَبَلِ

تَدَافُعَ الشِّيبِ ولم تُقَتَّلِ " [٨٢] .

ونلاحظ أنَّ الشيخ علل اختيار الشاعر لصورة المشبه به ، فكأنَّ سائلا يسأل ، لماذا شبه تزاحم الإبل بقوم شيوخ ؟ فقد توحي الصورة بضعف الإبل وهزالها ؛ فجاءت إجابته تعليلا لهذا السؤال المحتمل . وكان الشيخ يضيف إلى بيت الشاهد أبياتا أخرى ؛ لتكتمل الصورة الأدبية ، من خلال طرفي التشبيه ، يظهر ذلك في المثال السابق ، وفي قول الشاعر :

أينما الريحُ تُمَيِّلها تَمِلْ

٨١– عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البلاغة – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ /٢٠٠٢ م ، ص ٢٢٨

٨٢ – ابن عقيل: شرح بن عقيل : ٣ / ٢٧٨

يقول الشيخ : " شبه امرأة – ذكرها في بيت سابق – بقناة مستوية لدنة قد نبتت في مكان مطمئن الوسط ، مرتفع الجوانب ، والريح تعبث بها وتميلها ، وهي تميل مع الريح . والبيت السابق الذي أشرنا إليه :

وضجيج قد تعللت به ∴ طيب أردانه غَيْرُ تَفِلْ " [٨٣]

ويفسِّر الشيخ أحيانا أحد طرفي الصورة ووجه الشبه ، إذا احتاج المشهد إلى تفسير أو توضيح ، مما يساعد على استحضار الصورة المتخيلة في الذهن ، يظهر ذلك في قول الشاعر :

وكم مالئ عينيه من شيءٍ غيرِهِ ∴ إذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدُّمى

يقول الشيخ : " الدمية : الصورة من العاج ، وبها تشبه النساء في الحسن والبياض تخالطه صفرة " [٨٤] ، أما إذا كان وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد ، ويكون التشبيه تمثيلا، فإنَّ الشيخ يكتفي بتوضيحه، يظهر ذلك في قول الشاعر:

فإنك والتأبينَ عروة بعدما ∴ دعاك وأيدينا إليه شَوَار

لكالرَّجُلِ الحادي وقَدْ تَلَعَ الضُّحَى ∴ وَطَيْرُ المنايا فَوْقَهُنَّ أوَاقِع

يقول الشيخ : " يندد برجل استنجد به صديق له فلم ينجده ، فلما مات أقبل عليه يرثيه ، ويقول : إنَّ حالتك هذه في بكائك عروة والثناء عليه – بعد استغاثته بك ودعائه إياك إلى الأخذ بقاصره في حال امتداد سيوفنا إليه – تشبه حال رجل يحدو بإبله ويهيجها للسير وقت ارتفاع الشمس والحال أن طيور المنايا منقضة عليها وواقعة فوقها " [٨٥] .

٨٣- السابق : ٤ / ٢٩

٨٤- ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٣ / ١٠٨

٨٥- السابق : ٣ / ٩٦

قد يخرج التشبيه عن صورته المعهودة ، فيكون ضمنيا ، وهو الذي "يُؤْتَى به ليفيد أنَّ الحكم الذي أسند إلى التشبيه ممكن " [٨٦] ، وعندئذ ينص الشيخ على ذلك صراحة ، جاء ذلك في قول الشاعر :

سَرَيْنَا ونجمٌ قد أضاءَ ؛ فَمُذْ بَدَا ∴ مُحَيَّاك أخْفَى ضَوْؤُهُ كُلَّ شَارقِ

يقول الشيخ : " شبه الممدوح تشبيها ضمنيا ، ولم يكتف بذلك حتى جعل ضوء وجهه أشد من نور البدر وغيره من الكواكب المشرقة ". [٨٧] ، وقد يأتي التشبيه لغرض بلاغي يقصده الشاعر ؛ لبيان أن صورته قد تكون ممكنة ، فيقوم الشيخ بشرح الغرض ، دون أن يُسَمَّيَهُ ، يظهر ذلك في المثال المذكور آنفا ، وفي قول الشاعر :

دنوتِ وقد خلناكِ كالبدر أجملا ∴ فظل فؤادي في هواكِ مضللا

يقول الشيخ:"أي دنوت حال كونك أجمل من البدر، وقد خلناك مثل البدر"[٨٨] ، فالغرض من التشبيه في المثالين السابقين من خلال توضيح الشيخ لهما ، هو : بيان مقدار حال المشبه ، " وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية ،وكان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة" [٨٩].

ب – نقد التشبيه :

المقصود بنقد التشبيه:تعليق الشيخ على كلام بعض اللغويين والشُّرَّاح، ممن عَلَّقُوا على التشبيهات الواردة في الأمثلة، وفسروها، ويعد ذلك نقدا على نقدهم ، كأن يقع عند أحدهم لَبْسٌ في تحديد طرفي التشبيه ، فكان الشيخ يقوم

---

٨٦ – عبدالعزيز عتيق : في البلاغة الغربية (علم البيان) دارالنهضة العربية – بيروت (د.ت)، ص١٠٢

٨٧– ابن عقيل : شرح بن عقيل : ١ / ٢٢١

٨٨– ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٣ / ١٧٧

٨٩– علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة – دار قباء – القاهرة – ٢٠١٠م ، ص ٨٩

بتوضيح هذا اللبس ، ويؤكد صحة كلامه من خلال الموازنات ، وقد تكون بعض هذه الموازنات على سبيل التقريب والتمثيل ، كما في قول الشاعر :

بنونا بنو أبنائنا وبناتُنا ∴ بَنُوهُن أبناءُ الرجال الأباعد

يقول الشيخ : " (بنونا بنو أبنائنا) ...قدم الخبر وهو (بنونا) على المبتدأ وهو (بنو أبنائنا) ...قال ابن هشام يعترض على ابن الناظم استشهاده بهذا البيت : قد يقال إنَّ هذا البيت لا تقديم فيه ولا تأخير ، وإنه جاء على التشبيه المقلوب ،كقول ذي الرمة :

وَرَمْلٍ كأَوْرَاكِ العذَارَى قَطَعْتُهُ

فكان ينبغي أن يستشهد بما أنشده في شرح التسهيل من قول حسان بن ثابت :

قبيلةُ ألأمُ الأحياء أكرَمُهَا ∴ وأغْدَرُ النَّاسِ بالجيرانِ وافِيهَا

إذ المراد الإخبار عن أكرمها بأنه ألأم الأحياء ، وعن وافيها بأنه أغدر الناس، لا العكس ا هـ كلام ابن هشام . والجواب عنه من وجهين ، أحدهما :أن التشبيه المقلوب من الأمور النادرة ، والحمل على ما يندر وقوعه لمجرد الاحتمال مما لا يجوز أن يصار إليه ، وإلا فإن كل كلام يمكن تطريق احتمالات بعيدة إليه ؛ فلا تكون ثمة طمأنينة على إفادة غرض المتكلم بالعبارة ، وثانيهما : أن ما ذكره في بيت حسان من أن الغرض الإخبار عن أكرم هذه القبيلة بأنه ألأم الأحياء ، وعن أوفى هذه القبيلة بأنه أغدر الأحياء ، هذا نفسه يجري في بيت الشاهد فيقال : إن غرض المتكلم الإخبار عن أبناء أبنائهم بأنهم يشبهون أبناءهم ، وليس الغرض أن يخبر عن بنيهم بأنهم يشبهون بني أبنائهم ، فلمَّا صح أن يكون غرض المتكلم معينا للمبتدأ صح الاستشهاد ببيت الشاهد . ومثل بيت الشاهد قول الكميت بن زيد الأسدي :

كلامُ النبيينَ الهداةِ كلامُنا ∴ وأفعالَ أهلِ الجاهليةِ نفعلُ

فإنَّ الغرض تشبيه كلامهم بكلام النبيين الهداة ، لا العكس " [٩٠] .

وقد تكون الموازنات بين تشبيهين في غرض شعري واحد ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

وصـــــدرٍ مشـــــرقِ النحـــــرِ ∴ كـــــأنَّ ثدييـــــه حُقَّـــــانِ

يقول الشيخ : " وقد رواه الشارح كما ترى (حقان) تثنية حقــة ، وحــذف التاء التي في المفرد من التثنية كما حذفت تثنية (خصية وألية) فقالوا: خصــيان، وأليان ، هكذا قالوا ، وليس هذا الكلام بشيء ، بل حقان تثنية حُق ... وقــد ورد في فصيح شعر العرب بغير تاء ، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم التغلبي:

وَصَــدْرَاً مِثْــلَ حُــقِّ العــاج رَخْصَــاً ∴ حَصَــاناً مِــنْ أكُــفِّ اللامِسِــينا

والعرب تشبه الثديين بحُقِّ العاج كما في بيت الشاهد ، وكما في بيت عمرو ، ووجه التشبه أنهما مكتنزان ناهدان " [٩١] .

٢ – الصورة من خلال المجاز :

كشف الشيخ عن الألفاظ المجازية ، وما تحمله من دلالات وصور ، ورد كل لفظ إلى موطنه من المجاز ، سواء من ناحية العلاقة ، أم من ناحيــة الإســناد ، وهذا الاتجاه اعتمد عليه النقاد في نقدهم للشعر ، واعتمد عليه الشيخ ، وتنــوع عرضه للصور المجازية على النحو الآتي :

أ – الصورة من خلال الاستعارة :

والصورة في الاستعارة " أقوى تأثيرا من التشبيه ، ولكن يجب ألا تكــون بعيدة المنال ، فلا ينبغي أن يبالغ المرء في البحث عنها حتى تبدو غريبة ، ويجب كذلك ألا تكون واضحة كل الوضوح وإلا كانت عديمــة الأثــر ؛ لأن النــاس لا يهتمون بالأقيسة الواضحة كل الوضوح ، وهي التي يعرفهــا كــل النــاس ، ولا تحتاج إلى بحث ، كما لا يلقون بالاً إلى ما هو غريب بعيد المنال ، وإنما يهتمون

٩٠– ابن عقيل : شرح بن عقيل : ١ / ٢٣٣ ، ٢٣٤

٩١– السابق: ١ / ٣٩١

بسماع الأفكار التي تحيط بها بمجرد سماعها وليست معروفة من قبل أو ليست حاضرة في الذهن ، وتزيد الاستعارة حسنا إذا توفر فيها – مع ما ذكرنا – (التضاد والتمثيل) ... أي يثير المنظر أمام أعيننا ، والتضاد يضيف إلى الصورة، ويساعد على الحكم بين الصورتين ، إذ إنهما تؤديان معنيين متقابلين ." [٩٢] .

واعتنى الشيخ بتوضيح الاستعارات ، وتحديد نوعها ، وذكر المشبه والمشبه به ، يظهر ذلك في قول الشاعر :

فَإنْ يَهْلِكْ أبو قَابُوسَ يَهْلِكْ ∴ رَبِيعُ النَّاسِ والْبَلَدُ الحرام

ونَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ ∴ أَجَبُّ الظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَام

يقول الشيخ: "شبه الحياة بعد النعمان والعيش في ظلال غيره ، وما يلاقيه الناس بعده من المشقة وصعوبة المعيشة وعسرها ، ببعير قد أضمره الهزال وقطع الإعياء والنصب سنامه تشبيها مضمرا في النفس ، وطوى ذكر المشبه به، وذكر بعض لوازمه، وقوله(ليس له سنام) فضل في الكلام وزيادة يدل عليها سابقه"[٩٣] ، والشيخ في تفسيره للاستعارة ، أومأ إلى كونها استعارة مكنية ، وفي قول الشاعر :

أبا خُرَاشَةَ أمَّا أَنْتَ ذا نفرٍ ∴ فإنَّ قَوْمِي لم تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

يقول الشيخ : " (الضبع) أصله الحيوان المعروف ثم استعملوه في السنة الشديدة المجدبة ، قال حمزة الأصفهاني : إن الضبع إذا وقعت في غنم عاثت ، ولم تكتف من الفساد بما يكتفي به الذئب ، ومن فسادها وإسرافها فيه استعارت العرب اسمها للسنة المجدبة فقالوا أكلتنا الضَّبُعُ " [٩٤] ، والاستعارة في المثال

٩٢- محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص ١٢٤ ، ١٢٥

٩٣- ابن عقيل : شرح بن عقيل : ٤ / ٣٩

٩٤- ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ١ / ٢٩٧

السابق من خلال هذا التوضيح ، استعارة تصريحية ، وأحيانا يكتفي الشيخ بـذكر المشبه والمشبه به ؛ لبيان الصورة الأدبية ، ففي قول الشاعر :

ومـا لامَ نَفْسِـي مِثْلَهَـا لِـي لَـائمٌ ∴ ولا سَـدَّ فَقْـرِي مِثْـلُ مَـا مَلَكَـتْ يَـدِي

يقول الشيخ : " شبه الفقر بباب مفتوح يأتيه من ناحيته ما لا يحب ؛ فهو في حاجة لإيصاده " [٩٥] ، وبناء على تفسير الشيخ ففي البيـت اسـتعارة مكنيـة ، والصواب أن البيت كناية عن التعفف والترفع عن مذلة السؤال .

ب – الصورة من خلال المجاز المرسل :

يستعين الشاعر بالكلمات المجازية لإخراج صوره الشعرية عـن طريـق المجاز المرسل ، الذي هو " كلمة اسْتُعْمِلَتْ في غير معناها الأصلي لعلاقة غيـر المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[٩٦] ، ويقوم الناقـد بتفسـير المجاز وتوضيح العلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي ، وهذا ما قام به الشيخ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

أخَـا الْحَـرْبِ لَبَّاسـاً إليهـا جِلَالَهَـا ∴ ولـيس بِوَلَّـاجِ الْخَوَالِـفِ أعْقَلَـا

يقول الشيخ : " (الخوالف) جمع خالفة وهو – في الأصل – عمود الخباء ، ولكنه أراد به هنا نفس الخيمة " [٩٧] ، ومن خلال هذا التوضيح نعلم أن في اللفظ مجازا مرسلا علاقته الجزئية . ويفسر الشيخ اللفظ المجازي فيذكر له علاقتـين تصلح أحدهما أن تكون بديلة للأخرى ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

إذا سـايرت أسمـاءُ يومـا ظعينـة ∴ فأسمـاءُ مـن تلـك الظعينـة أمْلَـحُ

٩٥- السابق : ٢ / ٢٥٧ ، ٢٥٨

٩٦- علي الجارم و مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، ص ١٨٨

٩٧- ابن عقيل : شرح بن عقيل : ٣ /١١٢

يقول الشيخ في تفسير الصورة المجازية في البيت : " (ظعينة) أصله الهودج تكون فيه المرأة ، ثم نقل إلى المرأة في الهودج بعلاقة الحالية والمحلية ، ثم توسعوا فيه فأطلقوه على المرأة مطلقا: راكبة، أو غير راكبة"(٩٨) .

ج – الصورة من خلال المجاز العقلي :

الصورة في المجاز العقلي تكون في " إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي"(٩٩)، واعتمد الشيخ في إظهار الصورة الأدبية، في المجاز العقلي من خلال التفسير، ففي قول الشاعر:

تقول ابنتي : إنَّ انطلاقَكَ واحداً ∴ إلى الرَّوْعِ يَوْمَا تَارِكِي لا أبَا لِيَا

يقول الشيخ : " (الروع) الفزع ، والمخافة ، وأراد به ههنا الحرب ؛ لأنَّ الخوف يتسبب عنها ، فهو من باب إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب " (١٠٠) .

٣ـ الصورة الأدبية من خلال الكناية :

كما يعتمد الشاعر على خياله في رسم الصور الأدبية من خلال التشبيه والمجاز ، يعتمد كذلك على خياله في تغذية الصور الأدبية من خلال الكناية ، وهي لا تقل عن سابقيها في تجسيم المعاني وتجسيد الأفكار ، والشيخ الناقد – رحمه الله – لم يتعامل مع الكنايات كما يتعامل معها البلاغيون ، كأن يتحدث عن أقسامها باعتبار المكنى عنه إلى صفة أو موصوف أو نسبة – وإن كنا نستشف هذا من خلال حديثه عنها – وإنما كان يأخذ بيد القارئ إلى الفهم والاستمتاع ، وهي مهمة أصيلة من مهمات الناقد الأدبي ؛ لذلك " دافع (إليوت) عن المهمة الجوهرية للنقد الأدبي بأنها : (توضيح الأعمال الفنية وتقويم الذوق)، ثم عاد وصاغ مفهومه في جملة أكثر قبولا ،وهي : (ترقية الفهم والاستمتاع بالأدب) . والفهم والاستمتاع وجهان لعملة واحدة ، وكل ما هنالك أن أحدهما ثقافي والآخر

٩٨–ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٣ / ١٨٦

٩٩– علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، ص ٢٠٢

١٠٠– ابن عقيل :شرح ابن عقيل : ٢ / ٢٦٧، ٢٦٨

شعوري " [١٠١] ، ومن خلال هذه الرؤية النقدية تنوع تناول الشيخ للكناية على النحو الآتي :

أ – تفسير الكناية ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

وكنتُ أُرَى زيدا كما قيل سَيِّدا ∴ إذا أنَّه عبدُ القَفَا واللَّهازِمِ

يقول الشيخ : " وقوله (عبد القفا واللهازم) كناية عن الخسة والدناءة والذلة ؛ وذلك لأن القفا موضع الصفع ، واللهزمة موضع اللكز ، فأنت إذا تأملت فيه ونظرت إلى هذين الموضعين منه اتضح لك أنه يضرب على قفاه ولهزمته ، وليس أحد يضرب على قفاه ولهزمته غير العبد ، فتعرف من ذلك عبوديته وذلته ودناءته " [١٠٢] ، وهو كما ترى كناية عن صفة ، وفي قول الآخر :

ولقد أمر على اللئيم يسبني ∴ فمضيت ثمَّتَ قلتُ لا يعنيني

يقول الشيخ :"الإهاب ... الجلد ، وامتلاؤه عليه كناية عن شدة غضبه ، وكثير موجدته وحنقه "[١٠٣]، وهي كناية عن نسبة .

ب – التأكيد على لازم المعنى في الكناية :

كان الشيخ يؤكد أحيانا على لازم المعنى في الكناية ، من خلال تكراره في شعر الشعراء ؛ لتأكيد صحة تفسيره للكناية ، ففي قول الشاعر :

وممن ولدوا عامرُ ∴ ذو الطول وذو العرض

يقول الشيخ : " (ذو الطول وذو العرض) كناية عن عظم الجسم ، وعظم الجسم مما يمتدح العرب به ، وانظر إلى قول الشاعر:...

تبين لي أنَّ القماءة ذلة ∴ وأنَّ أعزاء الرجال طيالُها " [١٠٤]

١٠١- الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر ، ص ١٠٥

١٠٢- ابن عقيل : شرح بن عقيل : ١ / ٣٥٦ ، ٣٥٧

١٠٣- السابق : ٣ / ١٩٦

١٠٤- ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٣ / ٣٤٠

وهذا كما ترى كناية عن صفة .

عاشرا : **تفسير المعاني البلاغية**:

الصورة الأدبية في بنائها التقليدي، تعتمد على التشبيه والمجاز والكناية، ولكن الأدب لا يقوم على البيان وحده ؛ لأن الأسلوب الأدبي متنوع ، فهناك مراعاة حال السامعين ، وهناك معان أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال ، وغير ذلك مما يتصل بعلمي المعاني والبديع ؛ ولهذا فإن الشيخ – رحمه الله – أضاف إلى تحليل الصورة الأدبية بعض المهمات الأخرى ، مثل :تفسير الجملة من حيث الخبرية والإنشائية ، وتحديد الغرض البلاغي الذي يقصده الشاعر، ففي قول الشاعر :

يا قومِ قد حوقلتُ أو دنوتُ ∴ وشرٌّ حيقالِ الرجالِ الموتُ

يقول الشيخ : " يقول : إنِّي قد كبرت سني ، وضعفت عن القيام بأمور نفسي أو قربت من ذلك ، وشر الكبر الموت ، أي القرب منه ، والكلام خبر لفظا ولكن المعنى على إنشاء التحسر والتحزن على الفارط من شبابه وقوته " [١٠٥] ، والصواب على خلاف ما قال الشيخ ؛لأن الكلام في البيت إنشائي يعتمد على النداء(يا قوم ...الخ) لكن المعنى البلاغي خبري ؛ لإفادة التحسر والتحزن .

كما فسر الشيخ بعض المعاني المستفادة من الاستفهام ؛ إذا خرج عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى ، تفهم من السياق ؛ فيتضح المعنى بناء على هذا التفسير، جاء ذلك في قول الشاعر :

يا صاحِ هل حُمَّ عيش باقيا فترى ∴ لنفسك العذر في إبعادها الأملا

يقول الشيخ : " (هل حم عيش باقيا) ... الاستفهام ههنا إنكاري بمعنى النفي ؛ فكأنه قال : ما قدر الله عيشا باقيا " [١٠٦] .

١٠٥- السابق : ٣ / ١٣١ ، ١٣٢

١٠٦١٠٦- السابق : ٢ / ٢٦١

الحادي عشر : تفسير المحسنات البديعية :

اعتنى الشعراء قديماً بالمحسنات اللفظية ، المعنوية منها واللفظية ، "وهذه المحسنات يقصد بها تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، ورعاية وضوح الدلالة بخلوها عن التعقيد المعنوي " [١٠٧] ، ومن البديهي أن يتناول النقد الأدبي هذه الجماليات ؛ لأن النقد استقراء للنص ، واستنباط لكل خصائص الأسلوب ، فالنقد يتسع باتساع مكوِّنات النَّص ، ويتنوع بتنوعها . والشيخ – رحمه الله – فسر بعض هذه المحسنات ، وبيَّن أثرها الأدبي في المعنى ، ومن هذه الفنون (فن التقسيم) ، " وهو : ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين " [١٠٨] ، وقد فسر الشيخ هذا المحَسِّن في قول الشاعر :

ولسْتُ بهَاجٍ في القِرَى أهْلَ منزلٍ ∴ على زادِهِمْ أبْكي وأُبْكي البَوَاكِيَا

فإمَّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ لَقِيتُهُمْ ∴ فَحَسْبيَ مِنْ ذُو عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَ

وإمَّا كِرَامٌ مُعْسِرُونَ عَذَرْتُهُمْ ∴ وإمَّا لِئَامٌ فَادَّخَرْتُ حَيَائيا

وَعِرْضِي أبْقَى مَا ادَّخَرْتُ ذَخِيرَةً ∴ وَبطْنِيَ أَطْوِيهِ كَطَيِّ رِدَائيَا

يقول الشيخ : " يريد أنَّه لن يهجو أحداً ولن يذمه ويقدح فيه بسبب القِرَى على أية حال؛ وذلك لأنَّ الناس على ثلاثة أنواع : النوع الأول : كرام موسرون، والنوع الثاني : كرام معسرون غير واجدين ما يقدمونه لضيفانهم ، والنوع الثالث : لئام بهم شح وبخل وضنانة ، وقد ذكر هؤلاء الأنواع الثلاثة ، وذكر مع كل واحد حاله بالنسبة له (كرام) جمع كريم ، وأراد الطيب العنصر الشريف الآباء ، وقابلهم باللئام (موسرون) ذوو ميسرة وغنى ، وعندهم ما يقدمونه للضيفان

١٠٧- عبدالعزيز عتيق : في البلاغة العربية (علم البديع)، ص ٧٦

١٠٨- الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق : د/ عبدالحميد هنداوي – المختار – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص٣٠٣

(معسرون) ذوو عسرة وضيق لا يجدون ما يقدمونه مع كرم نفوسهم وطيب عنصرهم "[١٠٩] ،ومن ذلك تفسيره لظاهرة الالتفات ونقدها في قول الشاعر :

إنَّكَ لَوْ دَعَوْتَنِي وَدُونِي ∴ زَوْرَاءُ ذَاتُ مُتْلَئِرَعٍ بَيُّون

لَقُلْتُ لبَّيْهِ لِمَنْ يَدْعُونِي

يقول الشيخ : " (لقلت لبيه) في هذا اللفظ التفات من الخطاب إلى الغيبة ، والأصل أن يقول : لقلت لك لبيك " [١١٠] .

وأحيانا يقوم الشيخ بتفسير المحسِّن ، ثم يؤكد من خلال التعقيب عليه والتعليل على صحة استخدام الشاعر له ، من ذلك ما جاء في قول الشاعر :

ولا عَيْبَ فِيهنَّ غيرَ أنَّ سريعَها ∴ قَطُوفٌ ؛ وأنْ لا شَيْءَ مِنْهُنَّ أَكْسَلُ

يقول الشيخ : " يصف نساء بالسمن ... فهو يقول : إنَّه لا عيب في هؤلاء النساء إلا أنَّ أسرعهنَّ شديدة البطء متكاسلة ، وهذا مما يسميه البلغاء تأكيد المدح بما يشبه الذم ، والعرب تمدح النساء بذلك ؛ لأنَّ هذا عندهم يدل على اليسار والنعمة وعدم الامتهان في العمل " [١١١]

ومن تفسير الشيخ لبعض المحسنات ، تفسيره للمشاكلة ، " وهي :ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديراً " [١١٢] ، ففي قول الشاعر :

سَبَقُوا هَوَىً ، وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ ∴ فَتُخُرِّمُوا ، وَلِكُلِّ جَنْبٌ مَصْرَعُ ؟

يقول الشيخ في تفسير : " يقول : إنَّ هؤلاء الأولاد سبقوا ما أرغب فيه لهم وأحرص عليه ، وهو بقاؤهم ، وبادروا مسرعين إلى ما يهوونه ويرغبون فيه ،

١٠٩- ابن عقيل : شرح بن عقيل : ١ / ٤٥ ، ٤٦

١١٠- ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٣ / ٥٢

١١١- السابق : ٣ /١٨٥

١١٢- الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، ٢٩٧

وهو الموت – وجعله هوى لهم من باب المشاكلة – وليس الموت مختصاً بهم ، وإنما هو أمر يلاقيه كل إنسان "[١١٣] ، هذه أبرز الاتجاهات النقدية التي ظهرت في تحليلات الشيخ .

السمات النقدية :

من خلال العرض السابق يتضح أنَّ منهج الشيخ اتسم ببعض السمات النقدية الآتية :

١ـ الموضوعية :

النقد الموضوعي يعني " النقد القائم على أسس ومعايير منطقية، ويقلل من الاعتماد على الذوق الخاص والتأثرية في الحكم على العمل الأدبي المنقود"[١١٤]، ومن خلال رؤية الشيخ النقدية ، يظهر أنه اعتمد على مقاييس ثابتة ، ظهرت بشكل واضح ؛ واتسمت هذه المقاييس بالموضوعية ، والروح العلمية ، من ذلك ذكر الأسباب التي دفعت النحاة والشُّرَّاح في الوقوع في بعض الأخطاء ، ففي قول الشاعر :

يَحْسَبُهُ الجاهِلُ مَا لمْ يَعْلَمَا ∴ شَيْخَاً علَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمَا

يقول الشيخ : " البيت لأبي الصمعاء مساور بن هند ، العبسي ، وهو شاعر مخضرم ، وقبله :

وَقَدْ حَلَبْنَ حَيْثُ كانتْ قُيَّمَا ∴ مَثْنَى الوِطَابِ والوِطَابِ الزُّمَّمَا

وقِمَعَا يُكْسَى ثُمَالاً قَشْعَمَا

١١٣- ابن عقيل : شرح بن عقيل :٣ /٩٠، ٩١

١١٤- إبراهيم السعافين وآخرون : مناهج تحليل النص الأدبي – الشركة العربية المتحدة – مصر – الطبعة الأولى – ٢٠١٠م ، ٦١

... شبه القمع والرغوة التي تعلوه بشيخ معمم جالس على كرسي ، وقد أخطأ الأعلم – وتبعه كثير من شراح الشواهد – حيث قال : وصف جبلا قد عمه الخصب وحفه النبات وعلاه ، فجعله كشيخ مزمل في ثيابه معصب بعمامته ، ا ه. وسبب هذا الخطأ عدم الاطلاع على ما يتقدم الشاهد من الأبيات " [١١٥] .

٢ـ الذاتية :

لا يتخلى الناقد عن ذاتيته ؛ لأنها سمة أصيلة من سمات النقد الأدبي ، وهي تعني " النقد القائم على أسس ذاتية عمادها الذوق والتأثر بالنص الأدبي المقروء"[١١٦]، والذاتية لا تعني التخلي الكامل عن مكونات الناقد الثقافية ؛ لأن " الذوق ما هو إلا راسب من رواسب العقل الخفية " [١١٧] ، إلا أنَّ تخلي الناقد عن المقاييس النقدية المتفق عليها ، واعتماده على ذوقه مهما كانت مكونات ثقافته ، يجعل نقده ذاتيا ، ومن مظاهر الذاتية في نقد الشيخ : إصدار الأحكام العامة ، التي لا تستند إلى تفاصيل ، ففي قول الشاعر :

إنَّ الشبابَ الذي مجد عواقِبُهُ ∴ فيه نلذُّ ، ولا لذَّاتِ للشِّيبِ

يقول الشيخ :" البيت لسلامة بن جندل السعدي، من قصيدة له مستجادة"[١١٨]، ومن ذلك أيضا ما جاء في قول الشاعر :

وَحُمِّلْتُ زَفْرَاتِ الضُّحَى فَأَطَقْتُهَا ∴ وَمَا لِي بزفرَاتِ العَشَيِّ يَدَانِ

يقول الشيخ: "هذا البيت لعروة بن حزام ، أحد بني عذرة ، من قصيدة له ممتعة، يقولها في عفراء ابنة عمه"[١١٩] .

---

١١٥ – ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٣ / ٣١٠

١١٦– إبراهيم السعافين : مناهج تحليل النص الأدبي ، ص ٦١

١١٧– محمد مندور : في الميزان الجديد – دار نهضة مصر – القاهرة – (د.ت)، ص ١١٨

١١٨– ابن عقيل : شرح بن عقيل : ٢ / ٩

١١٩– السابق : ٤ / ١١٢

٣ـ التعليل :

يعد التعليل من السمات النقدية البارزة التي ظهرت في نقد الشيخ، وخاصة التعليل لاختيار الشاعر لألفاظه، وقد ذكرتُ نماذج في نقد الألفاظ، علل الشيخ لاختيار الشاعر لها، ومن ذلك أيضا ما جاء في قول الشاعر عروة بن حزام السابق، يقول الشيخ : "وأضاف الزفرات إلى الضحى ثم إلى العشي؛ لأن من عادة المحبين أن يقوى اشتياقهم إلى أحبابهم في هذين الوقتين"(١٢٠)، وفي قول الشاعر :

تَنْفِي يَدَاها الحصى في كلِّ هاجرةٍ ∴ نفي الدَّرَاهيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ

يقول الشيخ : " وخص وقت الظهيرة ؛ لأنه الوقت الذي تعيا فيه الإبل ويأخذها الكلال والتعب ، فإذا كانت فيه جلدة فهي في غيره أكثر جلادة وأشد اصطبارا"(١٢١)، والأمثلة على ذلك كثيرة .

٤ـ الموازنات :

الموازنات سمة بارزة اتسم بها نقد الشيخ ، وهي تكشف عن " ثقافة أدبية واسعة ... فهي ليست عفو الخاطر ، وإنما هي نتيجة الدرس الطويل"(١٢٢)، وتنوعت الموازنات على النحو الآتي :

أ – الموازنة بين بيتين في معنى واحد ، ففي قول الشاعر :

أهابُكِ إجْلالاً ، وما بكِ قدرةٌ ∴ عليَّ ، ولكن مِلْءُ عينٍ حَبِيبُهَا

يقول الشيخ:" المعنى: إني لأهابك وأخافك، لا لاقتدارك عليَّ، ولكن إعظاما لقدرك؛ لأن العين تمتلئ بمن تحبه فتحصل المهابة... انظر إلى قول ابن الدمينة :

وإنِّي لأستحييكِ حتى كأنَّما ∴ عليَّ بظهر الغيب منكِ رقيبُ " (١٢٣)

١٢٠– السابق : ٤ / ١١٣

١٢١– السابق : ٣ / ١٠٢

١٢٢– د / شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ص ١٢٦

ومن ذلك قول الشاعر :

جــزى بَنُــوهُ أبــا الغِــيلانِ عَــنْ كِبَــرٍ ∴ وَحُسْــنُ فِعْــلٍ كمــا يُجْــزَي سِــنِمَّارُ

يقول الشيخ : " سنمار ...اسم رجل رومي ، يقال : إنَّه بنى الخورنق – وهو القصر الذي كان بظاهر الكوفة – للنعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة ، وإنه لما فرغ من بنائه ألقاه النعمان من أعلى القصر ؛ لئلا يعمل مثله لغيره ، فخرَّ ميتا ، وقد ضربت به العرب المثل في سوء المكافأة، يقولون: (جزاني جزاء ســنمار)، قال الشاعر :

جَزَتْنَــا بَنُــو سَــعْدٍ بِحُسْــنِ فِعَالِنَــا ∴ جَــزَاءَ سِــنِمَّارٍ وَمَــا كــان ذَا ذَنْــبِ " [١٢٤]

ب – وقد تأتي الموازنة لتفسير بيت آخر :

ففي قول الشاعر :

وَخُبِّــرْتُ سَــوْدَاءَ الغَمِــيمِ مَرِيضَــةٌ ∴ فأقبلــتُ مِــنْ أهْلِــي بمصــرَ أعُودُهــا

يقول الشيخ : " ويروى (ونبئت سوداء الغميم) ويروى أيضــا (ونبئــت سوداء القلوب) فيجوز أنَّ اسمها سوداء ثم أضافها إلى القلوب كما فعــل ابــن الدمينة في قوله في محبوبته واسمها أميمة :

قِفِــي يَــا أُمَــيمَ الْقَلْــبِ نَقْــضِ لُبَانَــةٍ ∴ وَنَشْكُ الَهَوى ، ثُمَّ افْعَلِي مَا بَدَا لَكِ " [١٢٥]

هذه كانت أبرز السمات النقدية التي اتسم بها نقد الشيخ للأشعار التي وردت في شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك.

وبعد :

١٢٣- ابن عقيل : شرح بن عقيل : ١ / ٢٤١

١٢٤- السابق : ٢ / ١٠٩

١٢٥- ابن عقيل : شرح ابن عقيل : ٢ / ٧١ ، ٧٢

فقد كان للشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد – رحمه الله – ثقافة أدبية، ورؤية نقدية ، وظفهما في تحليل الشعر ونقده ، وهذا منهج قلما يلتزم به كثير من العلماء في عصره ؛ لأنه يحتاج إلى ثقافة واسعة ، هذه الثقافة أسهمت في تطويع المناهج النقدية الحديثة لدراسة الشعر القديم ، ولقد أبزت الدراسة النتائج الآتية :

١- استعان الشيخ في تحليل الشعر ، ونقده بأكثر من منهج ؛ فجاء منهجه تكامليا .

٢- اعتمد الشيخ – في الغالب – على المقاييس النقدية التقليدية ؛ لأن طبيعة الشعر فرضت عليه ذلك .

٣ – جمع الشيخ بين الاستنباط عن طريق الاستقراء ، والرؤية الإبداعية ؛ فاتسم نقده بالموضوعية حينا، وبالذاتية حينا آخر.

٤ – قراءة الشيخ للشعر كانت قراءة شمولية ، فَخَصَّبَت الجانب النقدي ؛ فجاء مثمرا ومفيدا ومقنعا .

رحم الله الشيخ وغفر له ؛ جزاء ما قدَّم للغة القرآن ، وعُشَّاقِهَا المخلصين .

مصادر البحث ومراجعه

المصادر :

١- القرآن الكريم

٢- الحديث النبوي الشريف

٣- ابن الأثير : ضياء الدين (٥٨٥- ٦٢٢ه) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد – مصطفى البابي الحلبي – القاهرة – ١٩٣٩ م

٤- ابن عقيل : بهاء الدين عبدالله (٦٠٠-٦٧٢ هـ) : شرح ابن عقيل – تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد – دار الفكر – القاهرة – الطبعة السادسة عشر -١٣٩٩هـ ١٩٧٩ م .

٥- ابن منظور : أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٦٣٠- ٧١١ه): لسان العرب – دار صادر- بيروت – (د . ت) .

٦- ابن هشام الأنصاري : أبومحمد عبدالله جمال الدين (ت ٧٦١) : شرح قطر الندى وبل الصدى – تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد – دار الطلائع - القاهرة – ٢٠٠٩م .

٧- الجرجاني : عبدالقاهر (ت ٤٧١أو٤٧٤ه) : أسرار البلاغة – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢ م .

٨- القزويني : الخطيب (٦٦٦-٧٣٩ه) : الإيضاح في علوم البلاغة – تحقيق : د/ عبدالحميد هنداوي – دار المختار – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م.

المراجع :

١- إبراهيم السعافين : (الدكتور) ، وآخرون : مناهج تحليل النص الأدبي – الشركة العربية المتحدة – القاهرة – الطبعة الأولى – ٢٠١٠م .

٢- حلمي محمد القاعود : (الدكتور) : النقد الأدبي الحديث (بداياته وتطوراته) – دار النشر الدولي – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م.

٣- سيد قطب : (الشيخ) : النقد الأدبي أصوله ومناهجه – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الثامنة – ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

٤- شوقي ضيف : (الدكتور) : في النقد الأدبي – دار المعارف – القاهرة – الطبعة السادسة – ١٩٦٢ م .

٥- طه أحمد إبراهيم : (الأستاذ) : النقد الأدبي عند العرب (من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري) – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٦- الطاهر أحمد مكي : (الدكتور) : الشعر العربي المعاصر (روائعه ومدخل لقراءته) – مكتبة المتنبي– الدمَّام – الطبعة التاسعة – ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م .

٧- عبدالسلام محمد هارون : (الشيخ) : تحقيق النصوص ونشرها – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة السابعة – ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

٨- عبدالعزيز عتيق : (الدكتور) :

- في البلاغة العربية (علم البيان) – دار النهضة العربية – بيروت – (د.ت) .
- في البلاغة العربية (علم البديع) – دار النهضة العربية – بيروت – (د.ت).

٩- علي الجارم ، ومصطفى أمين : (الأستاذان) : البلاغة الواضحة – دار قباء القاهرة – ٢٠١٠م .

١٠- غازي عناية : (الدكتور) : إعداد البحث العلمي – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٢ه/١٩٩٢م .

١١ – محمد رجب البيومي : (الدكتور) : النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين – دار القلم – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

١٢- محمد صالح الشنطي : (الدكتور) : في النقد الأدبي الحديث – دار الأندلس – حائل – الطبعة الأولى – ١٤١٩ه/١٩٩٩م .

١٣- محمد غنيمي هلال : (الدكتور) : النقد الأدبي الحديث – نهضة مصر – القاهرة – ١٩٩٧م .

١٤- محمد مندور : (الدكتور) :

- في الميزان الجديد – دار نهضة مصر – القاهرة – (د.ت) .
- النقد المنهجي عند العرب ، ومنهج البحث في الأدب واللغة – دار نهضة مصر – القاهرة – الطبعة السابعة – ٢٠٠٨م .

١٥- محمود مصطفى : (الأستاذ) : أهدى سبيل إلى علمي الخليل – مطبعة محمد علي – القاهرة – الطبعة الثالثة عشر – ١٣٩٤ه/١٩٧٤م .

١٦ – يحي وهيب الجبوري : (الدكتور) : منهج البحث وتحقيق النصوص – دار الغرب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٣م .

تم بحمد الله وتوفيقه